يتكون من : تمهيـــــد ومبحثين 0

التمهيد : وفيه تعريف المنهج ؛ لغة واصطلاحاً0

المبحث الأول : موقف علمــــاء الســـلف ، في القرن الثامن الهجـري، من منهج الصـوفية ، في الكشف 0

المبحث الثــاني : موقف علمــاء الســلف ، في القرن الثـامن الهجـري من منهج الصـوفية ، في الذوق والوجد 0

التمهيــد :

أ- تعريف المنهج ، لغة واصطلاحاً:

1**- المنهج لغة** :

«النهج الطريق الواضح »

و« نهج الطريق نهجاً ، ونهوجاً ، وضح واستبان ، وطُـــرُقٌ : نهجة ، وســــبيل : منهج ، ومنهج الطريق : وضَحُه، والمنهاج: الطريق الواضح »[1] 0

وجــاء في التنزيل الحكيم في موضع واحد في قوله تعالى :]ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجـاً[[الأنعـام : 48] 0

قال ابن كثير في تفسيره نقلاً عن ابن عباس - -:]لكل جعلنا منكم شـرعة[، قـال : سـبيلاً ،]ومنهاجـاً[، قال : سُـنة[2]0

[1] - انظـــر : لسان العرب 2/ 383 ، مادة «نهج» ، والقاموس المحيط ، ص 267

وذكـر الزمخشـري ، في تفسـيره ، أن معـنى : «منهاجـــاً » في الآية الكريمة ؛طريق واضح [1] وبهـــذا يكون معنى : الشرعة والمنهاج ، في هـذه الآية الكريمة ؛ « سبيلاً وسُـنة » ، وطريقاً واضحاً 0

وبهـذا يتـبين ، أن كلمة ، « منهج » أو «منهـاج» ، اسم مفرد يجمع على مناهج ؛ بمعـنى :طريق أو سـلوك ، وهي مشتقة من الفعل « نهج »، بمعـنى طـرق ، أو سـلك ، أو اتبع[2] 0

2- المنهج اصطلاحاً :

هو « الطريق المؤدي ، إلى الغرض المطلوب ، خلال المصاعب ، والعقبات » [3] 0

ب- تعـريف التلقـي لغة واصطلاحاً:

ا- التلقي لغــة :

« ألقى الشـيء : طرحه 0 وألقى الشـيء في القلب : قذفه0 وهو كـالتعليم 0 يقـال : ألقى إليه القـول وبالقول : أبلغه إياه ، ولاقاه ملاقاة ولِقَـاءً : قابله وصادفه »[4] 0

« وتلقاه : استقبله ، وتلقيته منه : تلقنته » [5]0

2-التلقي اصطلاحاً:

[2] - تفسير القرآن العظيم ، للإمام الحافظ عماد الدين ابن كثير ، ط9 ، (لبنـان : بـيروت ، دار المعرفة ، 1417 هـ) ، 2/ 68-69 ، وانظر : المفردات في غريب القرآن ، ص 258

[1] - الكشاف ، 1/ 627

[2] - مناهج البحث العلمي في الإسلام ، د : غازي حسن عنابة ، ط1 ، (بيروت : دار الجيل ، 1410 هـ) ، ص 79

[3] - منــاهج البحث العلمي ، أسس وأساليب د: عمـار بوحـوش و د: محمد الـذنيبات ، ط1 ، (الأردن : الزرقاء ، مكتبة المنار ، 1410هـ) ، ص92 ، وانظر: مناهج البحث العلمي د: عبد الرحمن بدوي ، طبعة : 1977 م ، ص3

[4] - المعجم الوسيط ، 2/ 836 (باب اللام) 0

[5] - أساس البلاغة ، ص571 ،(باب اللام)

للتلقي اصـطلاحاً ، عـدة تعريفـات ؛ منها : تلقي واستقبال أهل البادية ونحوهم ، وشـراء ما يحملونه معهم قبل وصولهم إلى البلد0

ومنها : « تلقي العلم : - أي - اسـتقباله وأخـذه بحرص»[1]

والتلقي المذكور في هذا التعريف ، هو المقصود في هذا الموضع 0

أما تعريف التلقي عند الصوفية ، فهو :

« أخذك ما يـرد من الحق »[2]0

والتلقي عند الصوفية ، يعني التلقي عن طريق الكشف والـرؤى والإلهـام والـذوق والوجد والخطـرات ، وليس عن طريق الكتـاب والسـنة، ولا عن طريق تلقي العلم المعتـاد ، وهـذا قـول باطل ، وبيّن الخطأ ، كما سيأتي بيانه في مكانه ، إن شاء الله 0

المبحث الأول : موقف علمـاء السـلف ، في القـرن الثـامن الهجـري، من منهج الصـوفية في الكشف 0

ويتكون من مطلبين :

المطلب الأول : منهج الصوفية في الكشف 0

---

[1] - معجم لغة الفقهاء ، ص 145

[2] - اصطلاحات الصوفية ، لابن عربي ، (القاهرة : عالم الكتب ، 1977 م) ، ص 22

المطلب الثــاني : موقف علمــاء الســلف ، في القـرن الثـامن الهجـري، من منهج الصـوفية في الكشف 0

المطلب الأول : منهج الصوفية في الكشف 0

أولاً: تعريف الكشف ، لغة واصطلاحاً0

أ- الكشف لغة :

« رفعك الشيء ، عما يواريه ويغطيه » ، «وكشف الأمر يكشفه؛ كشفاً : أظهره »[1] 0

ب- الكشف اصطلاحــاً :

« الاطلاع على ما وراء الحجـاب ، من المعـاني الغيبية ، والأمور الحقيقية ،وجوداً ، وشهوداً »[2] 0

ثانياً : منهج الصوفية في الكشف 0

تعد الصوفية ، منهج الكشف ، من أرقى منـاهج المعرفة ، وطريقاً موصلاً ، إلى اليقين - عندهم - ؛ لـذلك أهمل بعضهم الاهتمام بالعلوم الاستدلالية ، وزهدوا فيها ، ورغبــوا النــاس عنها ، وذلك لاعتمــادهم ، على العلــوم اللدنية ، الإلهامية ، دون الاعتمـــــاد على النقل والعقل ، وحثـوا أتبـاعهم ، على نهج الكشف ، والإلهـام ، والـرؤى ، والهواتف ، وغيرها من منــاهج التلقي المعروفة لــديهم ، والشــواهد على ذلك ، غــير قليلة ، ومن خلال مصـادرهم الأصلية ، المعتبرة لديهم ، وهـذا طـرف من أقـوالهم في الكشف ومنهجيتهم فيه :

---

[1] - لسان العـرب 9/ 300 ، مـادة « كشـف» ، والقـاموس المحيط ، ص1097 ، مـــادة «كشف»

[2] - التعريفات ، ص 193 ، ومعجم المصطلحات الصوفية ص 147

قال أبو القاسم القشيري - الملقب بالأستاذ - « قد درج أشـــياخ الطريق كلهم ، على أن أحــــداً منهم ، لم يتصدر قط للطريق ، إلا بعد تبحره ، في علوم الشـريعة ، ووصــوله إلى مقـــام الكشف ، الـــذي يســتغني به عن الاستدلال 000 فإن حجج القوم أظهر من حجج غــيرهم ، لتأيدها بالكشف »[1] 0

وقال ابن ماخلا[2] : « لا تقنع قط بسـمعت ورويت ؛ بل شهدت ورأيت »[3] 0

قـــال الخـــوّاص[4] : « لا يبلغ أحد مقــــام الإخلاص ، في الأعمـال حـتى يصـير ، يعـرف ما وراء الجـدار ، وينظر ما يفعله الناس في قعور بيوتهم في بلاد آخر ، فهناك يعـرف يقيناً هذا الكشف »[5] 0

وقال أبو حامد الغزالي : « 000 الكشف باب الفوز الأكبر ، وهو الفوز بلقاء الله تعالى»[6] 0

وقال أبو الحسن الشاذلي[7]« علوم النظر أوهام ، إذا قرنت بعلوم الإلهام »[8] 0

---

[1] - الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ، تأليف عبد الوهاب الشعراني ، حققه وقــدم له، طــه عبد الباقي سرور ، (بيروت : مكتبة المعارف) ، 1/ 63

[2] - داود الكبــير بن ما خلا ، شــيخ محمد وفا الشــاذلي ، كــان شــرطياً في بيت الــوالي بالإسكندرية 0 (طبقات الشعراني ، 1/188)

[3] - طبقات الشعراني ، 1/ـ 199 0 قول باطل يؤدي إلى ترك العلم الشرعي - الـذي يعتمد على السمع والرواية - والاعتماد على علوم الإلهام التي قد تصيب وقد تخطئ 0

[4] - إبـراهيم بن أحمد بن إسـماعيل ، كنيته أبو إسـحاق ، وهو أحد من سـلك طريق التوكل ، وكـان من أقـران الجنيد والنـوري ، مـات في جـامع الـري ، سـنة إحـدى وتسـعين ومـائتين 0(طبقات الصوفية ، 284) 0

[5] - الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية 1/ 159 0 لم يرد عن أحد من السلف مثل هذه الدعوة ، ولم يكن من عادة السلف البحث عن مثل هذه العلوم ،الـتي يسـعى لها كثـير من الصوفية للتلبيس على العوام من الناس 0

[6] - إحياء علـوم الـدين ، تصـنيف أبي حامد محمد الغـزالي ، وبذيله كتـاب المغـني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار ، للعلامة زين الدين العراقي ، (لبنان : بـيروت ، دار الكتب العلمية) ، 3/ 14

[7] - علي بن عبد الله بن عبد الجبـار الشـاذلي ، الضـرير الزاهد ، نزيل الاسـكندرية ، وشـيخ الطائفة الشاذلية ، مات بصحراء عيذاب ، قصداً الحج ، فدفن هناك ، في ذي القعدة ، سـنة ست وخمسين وستمائة 0(طبقات الشعراني ، 2/4)

[8] - اليواقيت والجواهر ، للشعراني (القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلـبي ، 2959م)1/ 28 قــول فــاحش يقلل من مكانة العلــوم الشــرعية ، الــتي نُقلت لنا عن طريق النظر ، والسمع ، وطعن بما نقلة لنا الأئمة العدول من السلف -رحمهم الله - من العلوم الشــرعية والعلوم المختلفة 0

ولما كان هذا المنهج مستقراً لديهم ، وأصيلاً عندهم ، عللوا تمسكهم به فقالوا : « فـإذا عـرفت هـذا ، فاعلم أن ميل أهل التصوف ، إلى العلـوم الإلهامية ، دون التعليمية ، فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون »[1]0

و قال الغزالي :« اعلم أن من انكشف له الشيء اليسـير بطريق الإلهـام ، والوقـوع في القلب من حيث لا يدري ، فقد صار عارفاً ، بصحة الطريق » [2] 0

ولـذلك لم يسـعوا ، ويلزمـوا أنفسـهم ، بمعرفة النصوص الشرعية المستمدة من المصـادر الأصـلية ، من كتاب وسنة ، بل كان مستندهم في طلب العلم والمعرفة ، من خلال هذه المناهج ، التي ارتضوها لأنفسهم 0

وقد قسم الصـوفية الكشف ، إلى أقســام[3] بيانها فيما يلي :

أ - الرؤيـــة :

الرؤية لغة : « الـرؤية بالعين ، تتعدى إلى مفعـول واحد ، وبمعـــنى العلم تتعـــدى إلى مفعـــولين ، والرؤية النظر بالعين ، والقلب »[4] 0

واصطلاحــاً : « المشاهدة بالبصر ، حيث كـان ؛ أي في الدنيا والآخـرة»[5] 0

تعد الرؤية أحد أهم ، أنواع الكشف ، عند الصوفية ، وبالتالي فهي جزء ، من مصادر التلقي ، عنـدهم ، ولهم في الرؤية ، منهج خــاص ، سيتضح بعـــون الله وتوفيقه ، من خلال عــرض أقســام الــرؤى لــديهم ، كما بيّنت ذلك أقوالهم ، وسطرته أقلامهم ، وحوته مؤلفاتهم:

---

[1] - الإحياء ، 3/ـ 21 0 قول صحيح واعـتراف صـريح بواقع الصـوفية ـ فهم من أجهل الخلق بـالعلوم الشـرعية ، الـتي تعتمد على التلقي والمطالعة ـ والبحث في المصـنفات وبطـون الكتب ـ فلذلك نجد كتبهم ومؤلفاتهم محشوة بـالقول الباطل ، والكـذب المفـترى ، الشـيء الكثير0

[2] - الإحياء 3/ 25

[3] - كما جعلـوا للكشف مـراتب ودرجـات وهي : « المحاضـرة ـ وهي أول مـراتب الكشف ـ وآخر مراتب الحجاب ، ثم المكاشفة ثم المشاهدة » انظر : (الإحيـاء 3/ـ 18 ـ والمصـادر العامة للتلقي عند الصوفية ، عرضاً ونقداً ـ تأليف صـادق سـليم صـادق ، ط1 ـ الريـاض : مكتبة الرشد ، 1415هـ ، ص 222)

[4] - لسان العرب ـ 14/ 291 ـ مادة (رأى)

[5] - التعريفات ، ص114

1- رؤية الله - تعالى وتقدس ذكره - :

للصوفية موقف من رؤية الباري - تعالى - ، فالسواد الأعظم منهم ، يرون أن الله - تعالى - يرى في الآخرة دون الدنيا - موافقين بذلك عقيدة السلف - 0

قال الكلاباذي : « وأجمعوا أنه لا يرى في الدنيا بالأبصار ، ولا بالقلوب ، إلا من جهة اليقين »[1] 0

وقال القشيري : « فإن قيل : فهل تجوز رؤية الله - تعالى - بالأبصار في الدنيا على وجه الكرامة ؟ 0 فالجواب عنه : أن الأقوى فيه أنه لا يجوز ، لحصول الإجماع عليه»[2]0

إلا أن بعضهم يزعم إمكانية رؤية الحق - تبارك وتعالى- في الدنيا ، في المنام ، فقد نقل إمكانية حصول هذه الرؤية القشيري ، فقال :« قيل : رأى أبو بكر الآجري [3]، الحق - سبحانه - في النوم » [4] 0

وقال أبو يزيد البسطامي : « رأيت ربي - عز وجل - في المنام، فقلت : كيف الطريق إليك ؟ فقال: اترك نفسك وتعال»[5] 0

2- رؤية الرسول الكريم - ﷺ - يقظة بعد موته :

للصوفية اعتناء خاص ، ومنهج مميز في التلقي ، عن النبي-ﷺ-، يقظة بعد موته ؛ بل ويعتبرون هذا المنهج في التلقي ، من أوثق المناهج والمصادر ، التي يستقون منها علومهم ومعارفهم ، وكتب الصوفية التي يعتبرونها - على مر العصور - من المصادر الأساسية لديهم ، تفيض بذكر ما تم بينهم وبين الرسول الكريم - ﷺ- ، من مقابلات ومحادثات، وأخذهم التوجيهات منه -ﷺ- ، وقد نقل ذلك أكثر من علم من أعلام الصوفية ، ممن لهم قصب السبق ، في علوم القوم ومعارفهم ، ونصوا على

---

1 - التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص 46 ، وانظر: الاقتصاد في الاعتقاد ،للغزالي ، ط1، (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1403هـ) ، ص 41 ، وما بعدها 0

2 - القشيرية ، ص 360

3 - محمد بن الحسن بن عبد الله الآجري البغدادي ، أبو بكر ، فقيه ، محدث ، حافظ ، إخباري ، حدث ببغداد ثم انتقل إلى مكة المكرمة ، فسكنها حتى توفي بالحرم ، سنة 360هـ 0 (معجم المؤلفين ، 9/243) 0

4 - القشيرية ، ص 368

5 - القشيرية ، ص 369

أن هذه الرؤية ، ومنهجهم فيها ، مصدر من مصادر التلقي المعتبرة0

قال أبو حامد الغزالي ، عن الصوفية : « 000 من أول الطريق تبتدأ المشاهدات والمكاشفات ، حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة ، وأرواح الأنبياء ، ويسمعون منهم أصواتاً ، ويقتبسون منهم فوائد000»[1]0

وقال أبو العباس المرسي[2] : « طريقنا هذه هداية ، وقد يجذب الله - تعالى - ، العبد إليه جذبة ، فلا يجعل عليه مِنَّة لأستاذ ، وقد يجمع شمله برسول الله - - فيكون آخذاً عنه وكفى منة 000»[3]— 0 بل ومنهم من يزعم أنه يرى النبي الكريم - - كل ليلة [4]0

ونقل الشعراني[5] بعض أقوال محمد أبي المواهب الشاذلي فقال: « كان رضي الله عنه ، كثير الرؤيا لرسول الله -- ، وكان يقول : قلت : لرسول الله - - إن الناس يكذبونني في صحة رؤيتي لك ، فقال رسول الله -- وعزة الله وعظمته من لم يؤمن بها ، أو كذبك فيها، لا يموت إلا يهودياً ، أو نصرانياً ، أو مجوسياً » ، ثم عقب الشعراني على ذلك فقال: « هذا منقول من خط الشيخ أبو المواهب»[6] 0

و سرد الشعراني كثيراً من هذه الأقوال ، كلها تحث على التصديق برؤية ، الرسول -- يقظة بعد موته ، يزعم في بعضها أن الرسول -- ، حث على قراءة علم التصوف ، والتمسك به ، وأنه -- صحح بعض الأحاديث ،

---

1 -المنقذ من الضلال ، ومعه كيمياء السعادة والقواعد العشرة في الأدب في الدين ، لأبي حامد الغزالي ، تعليق وتصحيح ، محمد محمد جابر ، (لبنان : بيروت المكتبة الثقافية) ، ص 50

2 - أحمد أبو العباس المرسي ، كان من أكابر القوم ، مات سنة ست وثمانين وستمائة 0 (طبقات الشعراني ، 2/ 12-13)

3 - طبقات الشعراني 2/ 13

4 - انظر : الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية 2/، 13، والإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ ، تأليف أحمد بن المبارك ، (مكتبة الصفا بالأزهر ، والمكتبة الثقافية التوفيقية) ، ص8

5 - عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد الشعراني ، فقيه ، أصولي ، صوفي ، ولد بمصر 27 رمضان سنة 898 ، وتوفي بالقاهرة سنة 973هـ 0(معجم المؤلفين ، 6/218)

6 - طبقات الشعراني 2/، 72 -73 0 كذب صريح على رسول الله -- ، فلو كان ذلك مطلوباً من الأمة ، لأخبر به الرسول الكريم -- بخبر لا يقبل الشك ، ولأعطي هذه الفضل لأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وسائر الصحابة - رضي الله عنهم - ، لا يقصر على هذا الصوفي 0

التي عرضـها عليه الشـاذلي، في أحد مقابلاته للرسـول- عليه السلام - [1] 0

وتؤكد الصوفية ، أنه لا تمتنع رؤية ذاته الشريفة - ﷺ- بجسده وروحه ، بعد موته 0

وصرحوا بإمكانية ذلك ، فقد نقل مؤلف كتاب - رماح حزب الـرحيم - عن شـيخه أحمد الرفـاعي[2] ، أنه عنـدما وقف تجـاه الحجـرة الشـريفة - الـتي تضم قـبر الرسـول الكريم ﷺ ، بمسجده - وأنشد بعض أبيات الشعر ، يطلب فيها من الرسول -ﷺ- أن يمد يـده ليقبلها ، «فخـرجت اليد الشـريفة ، من القـبر فقبلها » ثم قـال: « ولا تمتنع رؤية ذاته الشــريفة ، بجســده وروحه ، وذلك لأنه - ﷺ- وسـائر الأنبيـاء أحيـاء ردت إليهم أرواحهم ، بعد ما قبضـوا ، وأذن لهم في الخروج من القبور»[3]0

فهذه النصوص ، وغيرها تؤكد اعتقاد الصوفية ، بإمكانية رؤية النــــبي - ﷺ- يقظة بعد موته ، - بل ووقوعها حقيقة - وإمكانية التلقي عنه مباشــرة ، وأن لهم منهجــاً خاصاً في التلقي من خلال هذه الرؤية ، الـتي لم تنقطع ، ولن تنقطع -بزعمهم -0

فقد زعم ابن عـربي أن : « 000 من كـان من الصالحين ممن كان له حـديث مع النـبي -ﷺ- في كشـفه ، وصحبه في عالم الكشف والشهود، وأخذ عنه ، حُشر معه يوم القيامة 000ومن لم يكن له هذا الكشف فليس منهم ، ولا يلحق بهــذه الدرجة ، صــاحب النــوم ، ولا يســمى صاحبـاً ، لو رآه في كل منام ، حتى يـراه وهو مسـتيقظ ، كشفاً يخاطبـه، ويأخذ عنه ، ويصـحح له من الأحـاديث ما وقع فيه الطعن »[4] 0

---

1 - انظر : طبقات الشـعراني 2/ـ 75 0 الحكم على الأحـاديث النبوية الشـريفة لا يتم عن طريق الأحلام والمنامات ، وإنما يتم عن طرق العلم بأحوال الرواة ، وما ذكره أهل الحديث والجـرح والتعـديل ، وأهل المصـنفات الحديثية المشـهورة ؛ ولكن لأن هـذا الطريق يتطلب البحث والدراسـة، فلم يسـلكه الصـوفية ؛ لأن طـريقتهم قائمة على التجهيل والتضـليل ، والكذب والتزوير 0

2 - أحمد بن أبي الحسن الرفـاعي ، منسـوب إلى بـني رفاعة من العـرب ، تـوفي يـوم الخميس وقت الظهر ، ثـاني عشر جمـادى الأولى سـنة سـبعين وخمسـمائة ،0(طبقـات الشعراني ، 1/143،145)

3 - رماح حزب الرحيم على نحور حزب الـرجيم ، بهـامش جـواهر المعـاني ، تـأليف : عمر سعيد الفوتي ، (لبنان :بيروت ، دار الجيل) 1/ 219

4 - الفتوحـات المكية في معرفة الأسـرار المالكية والملكية ، تـأليف محي الـدين بن علي الطائي ، المعروف بابن عربي ، إعداد مكتب التحقيق بدار إحياء التراث الإسـلامي ، ط1 ، (بيروت : دار إحياء التراث الإسلامي ، 1418 هـ) ، 3/ 51

3- رؤية الخضـــر[1] ـ عليه السلام - :

من يطلع على كتب الصوفية ، يجد أن شخصية الخضـر-□-، حظيت لــديهم باعتنـاء خـاص ، بحيث أصـبح الأخذ عنه ، ولقيـاه - بـزعمهم ـ ، أمــراً حقيقيــاً ، لا يقبل الجـدل ، بل وكـثرت أخبـاره ، وتـواترت نقـولهم لـذلك ، وأصبح لهم منهجاً متميزاً ، في التلقي من الخضر-0-□

وليؤكد هذا التواتر وشهرته ، في هذه الرؤية ، يقول ابن عطاء السكندري :
« واعلم أن بقــاء الخضر ، قد أجمع عليه هــذه الطائفة ، وتواترت عن أولياء كل عصر لقاؤه ، والأخذ عنه ، واشتهر ذلك إلى أن بلغ الأمر إلى حد التــــواتر ، الـــذي لا يمكن جحده 000»[2] 0

وقال : « واعلم -رحمك الله - أن من أنكر وجود الخضر فقد غلط»[3] 0

وقال أبو الحسن الشاذلي :« لقيت الخضر -□- في صحراء عيذاب[4] ، فقـال لي: يا أبا الحسن ، أصـحبك الله اللطف الجميل ، وكان صاحباً في المقام والرحيل »[5] 0

وذكر القشيري عن إبراهيم بن أدهم[6] أنه : «رأى في البادية ، رجلاً علمه اسم الله الأعظم ، فدعا به بعــده ، فرأى الخضر -□- ، وقـال : إنما علمك أخي داود ، اسم الله الأعظـم»[7] 0

---

[1] - قيل إن اســمه : خضــرون بن قابيل بن آدم ـ وقيل إليا بن ملكـان بن فـالغ بن عـابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سـام بن نـوح -□- ، وقد اختلف في اسـمه ونبوته وحياته على أقـوال كثــيرة ـ وقد رجح شــيخ الإســلام ابن تيميه وفاته ـ وكــذلك ابن القيم 0 انظــر: (البداية والنهاية 1/ـ 363 وما بعدها ، والفتاوى 27/ـ 100، والمنار المنيف في الصحيح والضعيف ـ للإمام ابن قيم الجوزية ـ حققه العلامة ـ عبد الرحمن المعلمي ، أعـده وأخرجه منصـور عبد العزيز السماري ـ ط2ـ (الرياض :دار العاصمة للنشر والتوزيع ، 1419 هـ) ، ص 58) 0

[2] - لطائف المنن في منـاقب الشـيخ أبو العبـاس المرسي ـ وشـيخه الشـاذلي أبو الحسن ، تأليف تاج الدين بن عطاء السكندري ، ط2 (مصر: عالم الفكر ـ 1413 هـ) ـ ص 81

[3] - لطائف المنن ـ ص 83 0 بل من أثبت حياة الخضر - عليه السـلام - إلى الآن هو الـذي غلط 0

[4] - مرفأ قديم في مصر على البحر الأحمر ـ قرب الحـدود السـودانية 0 (المنجد في الأعلام ص382 ـ وانظر: معجم البلدان 4/ 193)

[5] - طبقات الشعراني ـ 2/5

[6] - إبراهيم بن أدهم بن منصور أبو إسحاق ـ من أهل بلخ ، كان من أبناء الملوك والمياسير ، خرج إلى مكة المكرمة ، وصحب بها سفيان الثوري ـ والفضـيل بن عيـاض ـ ودخل الشـام ـ ومات بها سنة 161هـ (طبقات الصوفية ـ 27ـ والقشيرية ـ ص 319)

[7] - القشيرية ـ ص 392

وكذلك نقل الشعراني ، عن ابن عربي ، في سند لبس خرقة التصوف قوله :

« 000 ولكن لما رأيت الخضر - عليه الصلاة والسلام - ، بمكة يلبسها للأولياء ، قلت بها من ذلك الوقت ، فلبستها من يده تجاه الحجر الأسود ، وألبستها للناس بعد ذلك »[1] 0

ونصوص لقاء الخضر -- عند الصوفية المتقدمين والمتأخرين، كثيرة جداً ، ولم يكن مقصودهم من إيراد هذه النصوص ، التي تزخر بها مؤلفاتهم ، مجرد إثبات لقاء الخضر -- ورؤيته ، وإنما الذي يرمون إليه من ذلك ، هو استحداث منهج جديد في التلقي ، يستمدون منه العلم والمعرفة ، دون عناء ، وحاجة للبحث والتعليم ، كما يفعل غيرهم0

وقد يرون الرسول الكريم -- ، أو الخضر -- أو غيرهما من الصالحين عن طريق الرؤى المنامية ؛ ولذلك تحتل الرؤى المنامية ، مكانة بارزة ، في منهج التلقي ، عند الصوفية ، وقد اعتنوا بهذا المنهج عناية فائقة ؛ ولهذا فلا تجد - في غالب الأحوال -،أي مؤلف من مؤلفاتهم ، يخلو من ذكرها ، وقد أفردها بعضهم بمباحث خاصة ، كالكلاباذي[2] ، و القشيري [3]0

فقال القشيري : عن الرؤيا : « وتحقيق الرؤيا ، خواطر ترد على القلب، وأحوال تتصور في الخيال » [4] 0

ومجالات الرؤيا ، التي ينقل الصوفية أخبارها ، أكثر ما تدور حول الباري - تقدس ذكره - ورؤية الرسول الكريم -- ، وبعض الصالحين [5]0

---

1 - الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ، 1/ 49
2 - التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص 171
3 - القشيرية ، ص 364
4 - القشيرية ، ص365
5 - القشيرية ، ص 368

قال محمد بن علي الكتاني[1] : « رأيت النبي -ﷺ- في المنام0 فقال لي : من تزين للناس ، بشيء يعلم الله تعالى منه خلافه ، شانه الله»[2]0

ونقل الكلاباذي ، عن أبي عبد الله بن الجلاء[3] قوله : «دخلت مدينة رسول الله -ﷺ- وبي شيء من الفاقة[4] ، فتقدمت القبر وسلمت على النبي -000 -ﷺ ثم قلت : يا رسول الله ، بي فاقة ، وأنا ضيفك الليلة ! ثم تنحيت ، ونمت بين القبر والمنبر ، فإذا أنا بالنبي - عليه السلام - ، جاءني ودفع إليَّ رغيفاً ، فأكلت نصفه ، فانتبهت فإذا في يدي نصف الرغيف»[5]0

وقال بنان[6] : « رأيت رسول الله -ﷺ- في المنام ، فقال : يا بنان 0

فقلت : لبيك يا رسول الله 0 فقال : من أكل بشره نفس ، أعمى الله عين قلبه ، فانتبهت وعقدت أن لا أشبع بعدها أبداً »[7] 0

ومنهج الصوفية في الرؤية عموماً - كما يقولون - : « إن المقرر ، عند العلماء والأعلام[8] ، أنه يُعمل بجميع ما يتلقاه العارفون منه - عليه الصلاة والسلام - ، سواء في اليقظة ، أو في المنام000»[9]0

ب- الإلهام والخواطر والهواتف :

---

[1] - محمد بن علي بن جعفر الكتاني ، أصله من بغداد ، وصحب الجنيد وغيره ، وأقام بمكة مجاوراً بها إلى أن مات 0 (طبقات الصوفية ، ص 373)

[2] - القشيرية - ص 368

[3] - أبو عبد الله أحمد بن يحي ، ويقال محمد بن يحي - وأحمد أصح - أصله من بغداد ، وأقام بالرملة 0(طبقات الصوفية 176)

[4] - الفاقة : الفقر والحاجة (مختار الصحاح ، ص 453 - باب الفاء)

[5] - التعرف ، ص 171

[6] - بنان بن محمد بن أحمد بن سعيد - أصله من واسط - وسكن مصر وأقام بها - وبها مات في شهر رمضان سنة ست عشر وثلثمائة 0 (طبقات الصوفية - ص 291)

[7] - طبقات الشعراني - 1/ 98

[8] - ليس على إطلاقه - وإنما يقصدون أعلام وعلماء الصوفية 0

[9] - الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني ، تأليف محمد عبد الله التجاني ، ط3 - (القاهرة: شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، 1377 هـ) ، ص 99 0 هذا ليس على إطلاقه فإن كانت الرؤية مخالفة لما هو مقرر في الشرع ، أو فيها معصية أو بدعة ، فلا يعمل بها ، كما بين ذلك علماء السلف المقتدى بهم 0 لأن من الرؤية ما هو صحيح - وما هو غير صحيح 0

1- **الإلهام لغة** : « ما يلقى في الروع» أو « أن يُلقي الله في النفس ، أمراً يبعثه على الفعل ، أو الترك ، وهو نـوع من الـوحي ، يخص الله به من يشـاء من عبـاده »[1] 0

2- الإلهام اصطلاحاً: « ما يُلقى في الروع ، بطريق الفيض » أو« ما وقع في القلب ، من علم يـــدعو إلى العمل ، من غير استدلال بآيــة، ولا نظر في حجة »[2] 0

والإلهام ليس بحجة ، عند العلماء ، إلا عند الصوفية[3]، فهو من مناهج التلقي ، المعتبرة لديهم 0

وقد يسمى الإلهام بالعلم اللدّنيّ ؛ كما بين ذلك ابن القيم بقولــه:«000والعلم اللـــدني : هو العلم الـــذي يقذفه الله في القلب إلهامـــاً ، بلا ســـبب من العبد ، ولا استدلال ، ولهذا سمي لدنياً»[4]0

ويري بعض الصوفية ، أن لا فرق ، بين وحي الأنبياء ، و إلهام الأولياء ، إلا أن النبي يرى الملَـكَ ، الـذي يحمل الوحي 0

يقول الغزالي: « ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء ، بل في مشـاهدة الملَـكَ المفيد العلم ، فـإن العلم إنما يحصل في قلوبنا ، بواسطة الملائكة »[5]0

وقال : إن العلم الذي « يحصل لا بطريق الاكتساب ، وحيلة الدليل ، يسمى إلهاماً »[6] 0

ويرى ابن عربي ،أن الإلهام قد يخطئ ، ولا يكون دائماً صحيحاً،وذلك حين فـرق بين الإلهام ، والعلم اللدني ، بقـوله : « والعلم يصيب ولابـد ، والإلهام قد يصـيب وقد يخطئ ، فالمصيب منه يسمى علم الإلهـام ، وما يخطئ ، يسمى إلهاماً ، لا علماً »، وأيد ذلك شعراً فقال:

---

1 -لسان العرب ، 12/ 555 ، مادة «لهم»
2 - التعريفات ، ص35
3 - التعريفات ، ص 35
4 - مدارج السالكين ، 3/ 431
5 -الإحياء ، 3/ 21
6 -الإحياء ، 3/ 20

لا تحكمن بإلهـام تجــــده فقد يكــون في غيرما يرضـاه واهبه
واجعل شـــــريعتك المثلى مصـــــححة فإنهــا تمر بجنبه كاسبة [1]

وقد رد بعض الصوفية ، على من أنكر الإلهام ، أو قول الصوفي حـدثني قلبي عن ربي ، بقولهم : « لا إنكار ؛ لأن المراد ، أخبرني قلبي عن ربي ، من طريق الإلهام ، الذي هو وحي الأولياء »[2] 0

أما **الخواطر** ، فذكر القشيري أنها : « خطابات ترد على الضمائر ، فقد يكون الخطـاب ، بإلقـاء ملك ، أو إلقـاء شـيطان ، أو أحـاديث نفس أو من الحق سـبحانه ، فإذا كان من الملك فهو الإلهام ، وإذا كان من قِبَل النفس قيل له الهواجس ، وإذا كان من الشيطان فهو الوسـواس ، وإذا كان من الله سبحانه ، وكان إلقـاؤه في القلب فهو الخاطر »[3] 0

وقال : « اتفق المشايخ على أن من كان أكله من الحرام، لم يفرق بين الإلهام والوسواس »[4]

وأما الهواتف فهي : الصوت الجافي العالي ، وقيل الصوت الشديد ، وهتف به هاتف ، صاح به 0 وهتفٌ بفلان : أي دعوته ، وهتفت بفلان :أي مدحته 0وســـمعت هاتفاً يهتف إذا كنت تسمع الصوت ، ولا تبصر أحداً [5] 0

قال أبو سعيد الخـراز[6] : « بينا أنا عشية عرفه ، قطعـــني قـــرب الله - عز وجل - عن ســـؤال الله ، ثم نازعتني نفسي بأن أسأل الله -تعـالى - ، فسـمعت هاتفـاً يقول : أبعد وجود الله تسأل غير الله »[7]0

---

1 - الفتوحات المكية ، 1/ 361
2 -الفتوحات المكية ـ 1/ 358
3 - القشيرية ـ ص 83
4 - القشيرية ـ ص 84
5 - انظر : لسان العرب ، 9/ 344 مادة : هتف ـ ومعجم لغة الفقهاء ، ص 491
6 - أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز ـ من أهل بغداد ، صـحب ذا النـون المصـري ، وهو من أئمة القـوم وجلة مشـايخهم ـ قيل أنه أول من تكلم في علم الفنـاء ، والبقـاء ، مـات سـنة 279هـ (طبقات الصوفية ـ 228) 0
7 - التعرف ، ص 168

وقد استدل الكلاباذي[1] ، على صحة العمل بالهواتف ، بحديث رواه بسنده عن عائشة -رضـــي الله عنها - قــالت : «لما أرادوا غسل النبي -ﷺ- ، اختلفوا فيه ، فقالوا : والله ما ندري أنجرد رسول الله -ﷺ- من ثيابه كما نجــرد موتانا ، أو نغســله وعليه ثيابه ؟ قــالت : فلما اختلفــوا ، ألقى الله عليهم السِّـــنَةَ[2] ، حـــتى ما بقي منهم أحد إلا وذقنه في صدره ، ثم كلمهم متكلـم من ناحيـة البيت لا يـــدرون من هـو : أن اغسلوا النبي-ﷺ- ، وعليه ثيابه »[3]0

هذه بعض النصوص التي تبين منهج الصوفية في الإلهـــام والخـــواطر والهواتف ، فهم يثبتـــون الإلهـــام والخــواطر والهواتف ، ويحتجــون بـــها، إلا فيما يعــارض الكتاب والسنة - كما يزعمون- 0

لهذا قال أبو الحسن الشاذلي : « إذا عارض كشفك الكتاب والسنة ، فتمسك بالكتاب والسنة ، ودع الكشف ، وقل لنفسك إن الله - تعالى - قد ضمن لي العصمة ، في الكتاب والسنة ، ولم يضمنها في جانب الكشف والإلهـام »[4] 0

وهذا القـول لا ينطبق ، على جميع الصـوفية ؛ لأن منهم المفتونين بالبحث عن الكشف ، والإلهام والخــواطر و خوارق العادات 0

---

[1] - التعرف ، ص 168

[2] - السِّـــنَةَ : النعاس

[3] - سنن أبو داود ، كتاب الجنائز ، بـاب سـتر الميت عند غسـله ، (اسـتبول " طبعة المكتبة الإسلامية ، 3/ 196 ، حديث رقم 3141) ، ونصه: «حدثني يحيى بن عباد عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير ، قال : سمعت عائشة تقول : لما أرادوا غسل النبي صـلى الله عليه وسلم ، قالوا : والله ما ندري أنجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من ثيابه ، كما نجرد موتانا ، أم نغسله وعليه ثيابه ، فلما اختلفـوا ، ألقى الله عليهم النـوم ، حـتى ما منهم رجل إلا وذقنه في صدره، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت ، لا يدرون من هو : أن اغسـلوا النـبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه ، فقاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغسـلوه وعليه قميصه ، يصبون الماء فوق القميص ، ويدلكونه بالقميص دون أيديهم ، وكانت عائشة ، تقول : لو استقبلت من أمري ما استدبرت ، ما غسله إلا نساؤه »

[4] - طبقات الشعراني ، 2/ 68

المطلب الثاني : موقف علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، من منهج الصوفية في الكشف 0

لقد تحدث علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، عن منهج الصوفية في الكشف، بوصفه منهجاً من مناهج التلقي ، المهمة لديهم، فأصَّلوا منهج الكشف الشرعي ، المستمد من الكتاب العزيز والسنة النبوية الشريفة ، وبينوا ما يخالف ذلك من المنهج الصوفي 0

قال الإمام ابن القيم : « فالكشف الصحيح ، أن يعرف الحق الذي بعث الله به رسوله - - ، وأنزل به كتبه ، معاني لقلبه ، ويرد إرادة القلب له ، فيدور معه وجوداً وعدماً ، هذا هو التحقيق الصحيح ، وما خالفه فغرور قبيح » [1] 0

وقال الشاطبي إن الكشف ، وقع[2] للرسول الكريم --، وحكم بمقتضاه ، ففي الصحيح : صلى رسول الله -- ، يوماً ثم انصرف فقال : « يا فلان ! ألا تحسن صلاتك ؟ ألا ينظر المصلي إذا صلى كيف يُصلي ؟ ؛ فإنما يصلي لنفسه 0 إني والله لأبصر من ورائي ، كما أبصر من بين يدي »[3] 0

فهذا حكم أمري بناء على الكشف ، وكذلك الرؤية ، عندما تواطأت، بنى عليها الحكم ، في ألفاظ الأذان [4]، وكذلك الصحابة -- وقع لهم كشف ، فعملوا بمقتضاه ،

---

[1] - مدارج السالكين ، 3/ 236 ، وقد أفاض الإمام ابن القيم في الحديث عن الكشف في كتابه مدارج السالكين ، أنظر: 3/ 231- 241

[2] - الرسول الكريم -- ، له خصوصية وأحكام تتعلق بالرسالة ، فهو قبل هذا نبي ورسول ، يوحى إليه ، ورؤيا الأنبياء حق ونبوة ووحي ، بخلاف رؤيا غير المرسلين ، فإن كشفهم خاضع للشرع ولما جاء به الرسول -- ، فما وافقه قبل ، وإلا فلا 0

[3] - صحيح مسلم كتاب الصلاة ، باب الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها ،1/ 319 ، حديث رقم 423

[4] - انظر: سنن أبو داود ، كتاب الصلاة ، باب كيف الأذان ، 1/ 135 حديث رقم 499

كما حـدث لأبي بكر الصـديق - - في وصـيته لعائشة [1]- رضي الله عنها - وعمر بن الخطـــــــــاب - - في ندائه سارية[2] وهو على المنبر[3]0

واستدل على قبول الكشف ، أو الأمر الخارق للعادة ، «لما ثبت أن النبي -- حذر وبشر ، وأنذر وندب ، وتصـــرف بمقتضى الخـــوارق من الفراسة الصـــادقة ، والإلهـام الصـحيح ، والكشف الواضح ، والرؤيا الصـالحة ، كــان من فعل مثل ذلك ، ممن اختص بشــيء من هــذه الأمور على طريق الصواب ، وعاملاً بما ليس بخـارج عن المشــروع ولكن مع مراعــاة شــرط ذلك »[4] ، وهو «أن ينظر إلى كل خارقة صدرت على يدي أحد ؛ فإن كــان لها أصل في كرامــات الرســول - عليه الصــلاة والســلام - ومعجزاته فهي صـــحيحة ، وإن لم يكن لها أصل ؛ فغـــير صحيحة ، وإن ظهر ببـادئ الـرأي أنها كرامة ؛ إذ ليس كل ما يظهر على يدي الإنسان من الخوارق بكرامة ، بل منها ما يكون كذلك، ومنها مالا يكون كذلك »[5] 0

ومن الدليل على صحته زائداً على ما تقدم أمران : أحدهما : أن النــبي -- قد عمل بمقتضى ذلك ، مع أنه لم يـــذكر أن ذلك خـــاص به دون أمته ، فـــدل على أن الأمة حكمهم في ذلك حكمه ، شـــأن كل عمل صـــدر منه ولم يثبت دليل على الاختصاص به دون غيره [6]0

---

[1] - قاله رضي الله عنه لابنته عائشة رضي الله عنها لما أبطل نحلته لها عشـــرين وســـقاً (أخرجه مالك في الموطأ ، إعـداد أحمد راتب عرمـوش ، ط 6 (بـيروت : دار النفـائس ، 1402هـ) ، كتـاب الأقضية ، ما لا يجـوز من النحل ، ص 533 حـديث رقم 1434) ونصه : «عن عائشة زوج النبي صـلى الله عليه وسـلم ، أنها قـالت : إن أبا بكر الصـديق كـان نحلها جاد عشرين وسقا من ماله بالغابة ، فلما حضرته الوفـاة ، قـال : والله يا بنية ما من النـاس أحد أحب إلي غـنى بعـدي منك ، ولا أعز علي فقـراً بعـدي منك ، وإني كنت نحلتك جـاد عشرين وسقا ، فلو كنت جددتيه واحتزتيه كـان لك ، وإنما هو اليـوم مـال وارث ، وإنما هما أخواك وأختاك ، فاقتسموه على كتـاب الله 0 قـالت : عائشة ، فقلت : يا أبت والله لو كـان كذا وكذا لتركته ، إنما هي أسـماء فمن الأخـرى0 فقـال أبو بكر : ذو بطن بنت خارجة أراها جارية »

[2] - انظر : أسد الغابة في معرفة الصـحابة تـأليف عز الـدين ابن الأثـير أبي الحسن علي الجزري ،تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض وآخرون ، (بـيروت : دار الكتب العلمية) ، 2/ـ 380 ، و الأصـابة في تميـيز الصـحابة ، للإمـام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عـادل أحمد عبد الموجـود ، والشـيخ علي محمد معوض ، ط1 ، (لبنان : بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1415 هـ) ، 3/ 5

[3] - انظر : الموافقات تصنيف أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ، تقـديم الشـيخ بكر بن عبد الله أبو زيد ، ضبط نصه ، وقد له ، وعلق عليه ، وخـرج أحاديثه ، أبو عبيـده مشـهور بن حسن آل سليمان ، ط1 (الخبر : دار ابن عفان للنشر والتوزيع ، 1417هـ) ، 4/ـ 468 - 469

[4] - الموافقات ، 2/ 446- 447

[5] - الموافقات ، 2/ 444

[6] - الموافقات 2، / 446

والثـــاني : عمل الصـــحابة -- بمثل ذلك من الفراسة ، والكشف والإلهـام، والوحي النومي ، كقـول أبي بكر - -: « إنما هما أخواك وأختاك »[1] 0
وقـــول عمر بن الخطـــاب -- : « يا ســـارية الجبل »[2] فأعمل النصيحة التي أنبا عنها الكشف[3] 0

وبيّن ابن أبي العز الحنفي ، أحد علماء السلف في القرن الثامن، أن تنـوع « الكشف والتـأثير ، باعتبـار تنـوع كلمـــات الله ، وكلمـــات الله نوعـــان : كونية ودينية[4] ؛ فكلماته الكونية هي التي استعاذ بها النـبي -- في قوله -- : « أعوذ بكلمات الله التامات 000»[5] ، والكون كله داخل تحت هذه الكلمات وسائر المخلوقات 0

والنوع الثـاني : الكلمات الدينية ؛ وهي القرآن وشرع الله الـذي بعث به رســوله -- وهي : أمـره ونهيه ، وخـبره ، وحظ العبد منها العلم بها ، و العمل والأمر بما أمـر الله ، كما أن حظ العبد عمومـاً ، وخصوصـاً العلم بالكونيـات والتـأثير فيها ؛ أي : بمـــوجبها ؛ فـالأولى تدبيرية كونية ، والثانية شـــرعية دينية ، فكشف الأولى العلم بـــالحوادث الكونية ، وكشف الثانية العلم بالمأمورات الشرعية 0

وقـدرة الأولى : التــأثير في الكونيـات ، إما في نفسه ؛ كمشيه على الماء وطيرانه في الهواء ، وجلوسه في النار ، وإما في غيره ؛ بإصحاح وإهلاك ، و إغناء و إفقار000 0

وقـدرة الثانية : التـأثير في الشـرعيات ؛ إما في نفسه ، بطاعة الله ورســوله -- والتمسك بكتـــاب الله وســـنة رسوله -- باطناً وظاهراً ، وإما في غيره بأن يـأمر بطاعة الله ورسوله -- فيطاع في ذلك طاعة شرعية»[6]0

و بيّن عدد من علماء السلف ، في القرن الثامن : « أن عـدم الخـوارق علمـاً وقـدرة ، لا تضر المسـلم ، في

[1] - موطأ مالك ، ص 533 ، حديث رقم 1434
[2] - أسد الغابة ، 2/ 380 ، و الأصابة في تمييز الصحابة ، 3/ 5
[3] - الموافقات ، 2/ 454
[4] - انظـر: شـفاء العليل في مسـائل القضـاء والقـدر والحكمة والتعليل ، لابن قيم الجوزية ،تحرير الحساني حسن عبد الله ، (القاهرة : مكتبة دار التراث) ، ص 449 ، وما بعدها 0
[5] - صحيح مسلم ، كتاب الذكر والـدعاء والتوبة والاسـتغفار ، بـاب التعـوذ من سـوء القضـاء ودرك الشقاء ، وغيره ، 4/2080، حديث رقم 2708
[6] - شرح الطحاوية ، ص749

دينـه ، فمن لم ينكشف له شـــيء من المغيبـــات ، ولم يسخر له شـيء من الكونيـات ، لا ينقصه ذلك في مرتبته عند الله ، بل قد يكون عدم ذلك أنفـع له ، فإنه إن اقترن بالدين ؛وإلا هلك صاحبه في الدنيا والآخــرة ، فإن الخارق قد يكـون مع الـدين ، وقد يكـون مع عدمه أو فسـاده ، أو نقصه »[1] 0

وقد اشترط الشاطبي ، لقبول الكشف ، أن يكون موافقاً لما جاء بالشرع ، ولا يخرم قاعدة شرعية ، « فإن ما يخرم قاعدة شرعية ، أو حكماً شرعياً ، ليس بحق في نفسه ؛ بل هو إما خيـــال ، أو وهم ، وإما من إلقـــــاء الشـــــيطان ، وقـد يخالطه ما هو حق ، وقد لا يخالطه ، وجميع ذلك لا يصح اعتباره من جهة معارضته لما هو ثابت مشروع»[2]0

وليس الإطلاع على المغيبات ، ولا الكشف الصحيح ، بالذي يمنع من الجريان ، علــى مقتضى الأحكام العادية ، والقدوة في ذلك رسول الله -ﷺ- فقد كان - عليه الصـلاة والسلام - معصوماً ، لقوله -تعالى- :] 000والله يعصـمك من الناس0000[، [المائدة : 67 الآية] 0
ولا غاية وراء هذا ، ثم كان يتحصن بالدرع والمغفر ، ويتــوقى ما العــادة أن يُتقى ، ولم يكن ذلك نــزولاً عن رتبته العليا إلى ما دونها ، بل هي أعلى »[3] 0

وقد أجاز- بعض - علماء السلف العمل بالكشف ، إذا لم يخرم قاعدة شرعية على عدة أوجه :
أولاً : أن يكون الكشف في أمر مباح 0
ثانياً : أن يكون العمل عليه لفائدة يرجو نجاحها 0
ثالثاً : أن يكون فيه تحذير ، أو تبشير ، ليسـتعد لكل عدته 0 [4]

---
[1] - شرح الطحاوية ، ص 749 - 750 ، وانظر: تاريخ الإسلام ووفيـات المشـاهير والأعلام لمؤرخ الإسلام شمس الدين الذهبي ، حققه وضبط نصه ، د : بشار عواد معروف ، والشيخ : شعيب الأرنؤوط ، و د: صالح مهدي عباس ، ط1 ،(بـيروت : مؤسسة الرسـالة 1408 هــ) ، (الطبقة 62) ، ص 426
[2] - الموافقات 2/ 457
[3] - الموافقات ، 2/ 506 - 507
[4] - انظر: الموافقات ، 2/ 471 ، 473

وقد فرق علماء السلف ، بين منهج الكشف الموافق لمنهج السلف الصالح ، المستمد من الكتاب العزيز ، وسنه المصطفى الكريم -ﷺ-، ومنهج الكشف الصوفي 0

فبينوا أن بعض المكاشفين من الصوفية ، إنما يتلقون الكشف من الجن، أو من طريق الرياضة والسهر ، والجوع والخلوة ، والهواتف والخيالات الفاسدة 0

وممن وصف حال أولئك الصوفية ، بدر الدين الشبلي[1] ، بقوله: « وغالب ما يوجد الجن في مواضع النجاسات ، كالحمامات والحشوش والمزابل ، والقمامين ، والشيوخ - الصوفية - الذين تقرن بهم الشياطين ، وتكون أحوالهم شيطانية ، لا رحمانية يأوون كثيراً إلى هذه الأماكن ، التي هي مأوى الشياطين » إلى أن قال : « والمقصود أن أهل الضلال والبدع ، الذين فيهم زهد وعبادة ، على غير الوجه الشرعي ، ولهم أحياناً مكاشفات ،ولهم تأثير ، يأوون كثيراً ، إلى مواضع الشياطين التي نُهي عن الصلاة فيها ؛ لأن الشياطين تتنزل عليهم فيها وتخاطبهم ببعض الأمور ، كما تخاطب الكهان »[2] 0

ووصف ابن كثير حال بعض الصوفية[3] بقوله : «ويزعمون أن له أحوالاً وكشوفاً كثيرة ، وكان كثير من العوام، وغيرهم يعتقدون صلاحه وولايته ، وذلك لأنهم لا يعلمون شرائط الولاية ولا الصلاح ، ولا يعلمون أن الكشف قد يصدر من البر والفاجر ، والمؤمن والكافر ، كالرهبان وغيرهم ، 000 ، فإن الجن تسترق السمع وتلقيه على آذان الإنسي ، ولا سيما من يكون مجنوناً ، أو غير نقي الثياب من النجاسة ، فلا بد من اختيار صاحب الحال بالكتاب والسنة ، فمن وافق حاله كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- ، فهو رجل صالح ، سواء كاشف أولم يكاشف

---

[1] - محمد بن عبد الله الشبلي ، الدمشقي الحنفي ، بدرالدين بن تقي الدين ، ولد بدمشق سنة 712هـ ، ومن مؤلفاته : محاسن الوسائل إلى معرفة الأوائل ، وآكام المرجان في أحكام الجان ، وعقيدته : عقيدة السلف ، قال ابن حجر نقلاً عن الذهبي : « الفقيه المحدث العالم أبو البقاء من نبهاء الطلبة ، وفضلاء الشباب » وقال : « قال ابن حبيب كان يتثبت في أحكامه ، ويحقق ما يبديه على ألسنة أقلامه » ، توفي رحمه الله في صفر سنة 769 هـ بطرابلس 0 (الدرر الكامنة ، 3/ 487 - 488 ، ومعجم المؤلفين ، 10/ 219) 0

[2] - غرائب وعجائب الجن كما يصورها القرآن والسنة ، للشيخ بدر الدين بن عبد الله الشبلي ، تحقيق وتعليق إبراهيم محمد الجمل ، (جدة : مكتبة الخدمات الحديثة ، 1402 هـ) ، ص 39 وهو كتاب آكام المرجان في أحكام الجان ، المذكور في ترجمة الشبلي ؛ إلا أن المحقق تصرف في العنوان 0

[3] - هو : يوسف الأقميني 0 (البداية والنهاية 13/ 254)

، ومن لم يوافق فليس برجــل صــالح ، ســواء كاشف أم لا»[1] 0

وقال في صوفي[2] آخر : « كان مشهوراً بدمشق ، ويذكر له أحوال ومكاشفات على ألســنة العــوام ، ومن لا يعقل 000 وكان العوام يذكرون له مكاشفات و كرامــات ، وكل ذلك خرافات من خرافات العوام ، وأهل الهــذيان ، كما يعتقدون ذلك في غيره من المجانين والمولهين »

ثم بيّن أن الحــالة التي هو عليها ، لا تتفق مع حال الصــــــــــالحين ، بقوله : « ولم يكن ممن يحافظ على الصلوات ، ولا يصوم مع النـاس ، ومع هـذا كـان كثـير من العــــوام وغــــيرهم يعتقدونه 000 وكــــان يجلس على النجاسات والقـذر ، وكـان يلبس ثيابـاً بداوية تجحف على النجاسات في الأزقة »[3]0

وأكد ابن أبي العز ، أن الكشف قد يحصل من طريق الرياضــة: « وهي الــتي تحصل بــالجوع والســهر والتخلي ، فـإن النفس إذا تجـردت عن العوائق ، صـار لها من الفراسة والكشف ، بحسب تجردها ، وهــــذه فراسة مشتركة بين المـؤمن والكـافر ، ولا تـدل على إيمـان ولا على ولايـــــة، ولا تكشف عن حق نــــافع ، ولا عن طريق مستقيم ؛ بل كشفها من جنس فراسة الـولاة ، وأصـحاب عبارة الرؤيا والأطباء ونحوهم »[4] 0

« ومما يتعلق به بعض المكلفين ، أن الصوفية هم المشـهورون باتبـاع الســنة ، المقتــدون بأفعــال الســلف الصــالح 000ولكنهم في كثــير من الأمــور يستحســنون أشــياء لم تــأت في كتــاب ولا ســنة ، ولا عمل بأمثالها السـلف الصـالح، فيعملـون بمقتضـاها ، ويثـابرون عليها ، ويحكمونها طريقـاً لهم مهيعـاً ، وسـنة لا تُخلف ؛ بل ربما أوجبوها في بعض الأحوال، 000 فمن ذلك أنهم يعتمـدون في كثير من الأحكام0

على الكشف والمعاينة وخرق العادة،فيحكمون بالحل والحرمة ، ويثبتون على ذلك الإقدام والإحجـام، كما يحكى عن المحاسبي - وغيره من الصوفية - أنه كـان إذا

---

[1] - البداية والنهاية ، 13/ 254
[2] - هو : إبراهيم بن سعيد الشاغوري 0 (البداية والنهاية 13/ 343)
[3] - البداية والنهاية ، 13/ 343
[4] - شرح الطحاوية ، ص 753- 754 ، ومدارج السالكين ، 2/ 507 وانظر : ص 766 - 767

تنــاول طعامــاً في شــبهة ، نبض له عــرق في إصــبعه ، فيمتنع منه ، 000فمثل هـــذه الأشـــياء إذا عُرضت على قـواعد الشريعة ، ظهر عدم البناء عليها ، إذ المكاشفة أو الهاتف المجهـول ، أو تحريك بعض العـروق ، لا يـدل على تحليل ولا تحريم »[1]0

ولهـذا حـذر الإمـام الـذهبي ، من الاغـترار بالكشف الصـوفي ، وأمثالـه، بقوله : « فلا يغـتر المسـلم بكشف ، ولا بحال ، ولا بإخبار عن مُغَيّب ، فإن ابن صـائد ، وإخوانه الكهنة لهم خــوارق ، والرهبــان فيهم من تمــزق جوعــاً وخلــوة ومراقبة ، على غــير أســاس ولا توحيد ، فصـفت كدورات أنفسـهم ، وكاشـفوا وفشـروا ، ولا قـدوة إلا في أهل الصـفوة ، وأربـاب الولاية ، المنوطة بـالعلم والسـنن »[2] 0

ثم ذكر « تواتر الكشف والبرهان للكهان وللرهبان » وبيّن أن ذلك ليس دليلاً على الصلاح والولاية ، وإنما هو « من إلهام الشياطين »[3] 0

هذا ما فيه بيان موقف وجهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، تجاه منهج الصوفية في الكشف - بشــكل عــام - ، فهو موقف الناقد البصــير ، المتصف بالعدل والإنصاف ، من غير حيف ولا شطط [4] 0

أ- موقف علماء السلف في القـرن الثـامن ، من منهج الصوفية في الرؤية 0

وأما موقفهم من منهج الصوفية في الرؤى ، فيتمثل بعناية السـلف الخاصة ، في تأصـيل منهج الـرؤى، تأصـيلاً

1 - الاعتصام ، / 1/ 172 - 173
2 -السير ، 22/ 179
3 - تاريخ الإسلام ، (الطبقة 62) ص 425 -426
4 - انظــر : السير ، 14/ 321-322 ، و23 / 224، 226 ، 227 ، 302 ، 303 ، وتاريخ الإســلام (الطبقة 62) ، ص 426، وذيل تاريخ الإسـلام للإمـام شـمس الـدين الـذهبي ، اعتنى به مازن بن سالم باوزير ، ط1 (الرياض : دار المغني للنشر والتوزيع ، 1419 هــ) ، ص 265 ، والموافقات 2/ 475 ، والبداية والنهاية ، 21/ 702 و 14 / 535

مستمداً من الكتاب الكـريم ، والسـنة النبوية المطهـرة ؛ لأن بعض النــاس ممن لا يفقهــون من العلــوم الشــرعية كثــيراً ،قد ضــلوا في بــاب الــرؤى والإلهــام والخطــرات وأضــلوا ، وسـاروا في ركب البـدع والضــلال ؛ ولهـذا بيّن علماء السلف في القـرن الثـامن ، المنهج الصـحيح لـذلك بالأدلة الصحيحة ، وبينـوا مـتى يكـون العمل بها صـحيحاً ، ومتى يكون مردوداً 0

وممن اعتنى بذلك ، من علماء السلف في القرن الثامن ، الإمام ابن مفلح المقدسي ، الذي ساق عدداً من الأدلة على الرؤيا ، ومتى يعمل بها ؛ ومن هذه الأدلة قوله -ﷺ- : « إذا اقترب الزمـان ، لم تكد رؤيا المـؤمن تكـذب، ورؤيا المـؤمن جـزء من سـتة وأربعين جـزءاً من النبـــوة 000»[1] 0

وقوله -ﷺ- : « لم يبق من النبوة إلا المبشرات ، قيل : وما المبشرات ؟ قال: الرؤيا الصالحة »[2]0

1- رؤيـــة الله - تعالى ذكره - :

مسألة رؤية الحق تبارك وتعالى ، من المسائل التي تنــازعت فيها الفــرق[3] ، وكــثر فيها المقــال ، ولأن أهل السـنة والجماعة ، هم أصــحاب الحق المــبين ، فــإن اعتقـادهم في رؤية البـاري - سـبحانه - مـأخوذ من آيـات القرآن الكريم ، وسـنة رسـوله الأمين -ﷺ- ، وفهم سـلف الأمة وخـير القـرون ، فهم يثبتـون الرؤية لله - عز وجل - في الآخرة دون الدنيا 0

قال الإمام ابن أبي العز - بعدما ذكر حصول رؤية البــاري - عز وجل - يــوم القيامة ، وكــذا ابن كثــير -[4]: «وإنما لم نــره في الــدنيا ، لعجز أبصــارنا ، لا لامتنــاع الرؤية»[5] 0

---

[1] - صحيح البخاري ، كتاب التعبير ، باب القيد في الزمان، 4/ 303 ، حديث رقم (7017)

[2] - صحيح البخاري ، كتاب التعبير ،باب المبشرات، 4/297، حديث رقم (6990)

[3] - مثل : الجهمية ، والمعتزلة ، ومن تبعهم من الخـوارج ، والإمامية 0 (شـرح العقيـدة الطحاوية ، ص 207)

[4] - شرح الطحاوية ، ص 207 ، تفسير القرآن العظيم ، 2/428

[5] - المرجع السابق ، ص 220

ثم قال : « واتفقت الأمة ، على أنه لا يراه أحد ، في الدنيا بعينه، ولم يتنازعوا في ذلك[1] 000»[2] 0

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية ، أن ما يراه بعض الناس ويظنون أنهم يرون الباري - تقدس ذكره - في الدنيا ، إنما هو الشيطان ، فينخدعون بذلك 0

فقال : « من العباد يرى الكعبة تطوف به، ويرى عرشاً عظيماً، وعليه صورة عظيمة ، يرى أشخاص تصعد وتنزل فيضنها الملائكة ، ويظن أن تلك الصورة هي الله - تعالى وتقدس- ، ويكون ذلك الشيطان ، وقد جرت هذه القصة لغير واحد من الناس ، منهم من عصمه الله ، وعرف أنه الشيطان ، كالشيخ عبد القادر[3] في حكايته المشهورة[4] ، 000ومن هؤلاء من اعتقد أن المرئي هو الله 000 وهذا قد وقع مع كثير من الطوائف ، من جهال العباد ، يظن أحدهم أنه يرى الله - تعالى - بعينه ، في الدنيا ، لأن كثير منهم رأى ما ظن أنه الله ، وإنما هو شيطان »[5] 0

تلك هي مواقف السلف من رؤية الباري - تعالى ذكره - يرون حصولها في الآخرة ، وتمتنع في الدنيا ، لما ورد من الأدلة الشرعية ، والله - تعالى - أعلم 0

2- رؤية الرسول -- :

بيّن ابن مفلح موقف العلماء من رؤية الرسول الكريم -- بعد موته -التي كثيراً ما يدعي الصوفية وقوعها لهم - فأورد الحديث الذي رواه أبو هريرة --عن النبي --قال :

---

[1] - إلا ما يخص النبي -- منهم من نفى الرؤية بالعين ، ومنهم من أثبتها 0 (انظر : شرح الطحاوية ، ص 220 ، الغنية في مسألة الرؤية ، ابن حجر ، تحقيق وتعليق د : محمد بن عبد المحسن التركي ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، 1419هـ ، ص21-39)

[2] - شرح الطحاوية ، ص 220

[3] -الشيخ عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن يحيى أو صالح الجيلي ، -ويقال الجيلاني - ، ولد سنة 470هـ ودخل بغداد وسمع الحديث ، وتوفي سنة 561 وقيل 562هـ (البداية والنهاية ، 2/768، وطبقات الشعراني ، 1/126) 0

[4] - يشير شيخ الإسلام - رحمه الله - إلى قول الشيخ عبد القادر - رحمه الله - :« تراءى لي نور عظيم ملأ الأفق ، ثم تدلى فيه صورة تناديني : يا عبد القادر : أنا ربك ، وقد حللت لك المحرمات 0 فقلت : اخسأ يا لعين ، فإذا ذلك النور ظلام ، وتلك الصورة دخان ، ثم خاطبني يا عبد القادر : نجوت مني بعلمك بأمر ربك ، وفقهك في أحوال منازلاتك ، ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق 0 فقلت : لله الفضل 0 فقيل له : كيف عرفت أنه شيطان 0 قال: بقوله : قد حللت لك المحرمات » 0 (طبقات الشعراني ، 1/127) 0

[5] - الفتاوى ، 1/ 171-172

«000من رآني في المنـــام فســـيراني في اليقظة ، أو لكأنما رآني في اليقظة ، لا يتمثل الشيطان بي»[1] 0

قال بعضهم : هو على ظاهره وأن من رآه فقد أدركه ، ولو رآه على خلاف صـــــفته ، أو رآه جماعة في مواضع ، وإن غلط في بعض صـــــفاته ، وتخيل لها على خلاف ما هي عليه 0

وقال بعضهم : معناه أن رؤياه صحيحة 0

وقد تكلم العلماء فيما إذا رأى النبي -ﷺ- ، فأمره في منامه ، أو نهاه 0

وتلخيصه :أنه لا يغير ما تقرر في اليقظة شرعاً إجماعـــاً - بخلاف ما يدعيه بعض الصـــوفية - نظـــراً إلى ترجيح الدليلين0

وأما ما ليس فيه أمر ولا نهي عنه - عليه الصلاة والسلام - في اليقظة فهل يلزم العمل به ؟

فالصحيح المجمع عليه ، أنه لا يغير بسبب ما يراه النائم ، ما تقرر في الشرع[2] 0

فكيف يزعم بعض الصوفية أنه رأى الرسول- ﷺ -، وأمره بالشرك ، والنذر لغـير الله [3] ، فهـذه الرؤيا قطعـاً من الشيطان ، وليست من الرحمن ، لأن هذا أمر شركي ، مخالف لنصوص الكتاب والسنة ، وإجماع علماء السـلف 0

أما إذا رأى النبي -ﷺ- يأمره بفعل مندوب إليه ، أو ينهـاه عن منهي عنه ، أو يرشـده إلى فعل مصـلحة ، فلا خلاف في اســـــتحباب العمل على وفقه ، لأن ذلك ليس حكماً بمجرد المنام ، بل بما تقـرر من أصل ذلك الشـيء 0 [4]

---

1 - صحيح مسلم ، كتـاب الرؤيا ، بـاب قـول النـبي -ﷺ- « من رآني في المنـام فقد رآني » ، 4/1775

2 - الآداب الشرعية ، 3/ 427

3 - انظر : طبقات الشعراني ، 2/ـ 74 حيث نقل عن الشاذلي قولـه: «رأيت رسـول الله ﷺ، فقال : إذا كان لك حاجة ، وأردت قضاءها فانذر لنفيسة الطاهرة ، ولو فلسـاً ، فـإن حاجتك تقضى »0

4 - انظر : الآداب الشرعية ، تأليف الإمام أبي عبد الله محمد بن مفلح ، حققه وضـبط نصه وخـرج أحاديثه ، وقـدم له ، شـعيب الأرنـؤوط ، وعمر القيـام ، ط2 ، (بـيروت : مؤسسة الرسـالة ، 1417 هــ) ، 2/ـ 427 -ـ 436 ، و الـذيل على طبقـات الحنابلة ، لابن رجب ، (بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع) ، 4/ 336- 337

قال ابن مفلح : « وهذا كله معنى كلام الشيخ تقي الدين بن تيمية»[1] 0

وقال الإمام الشاطبي : « 000 العلوم المأخوذة من الرؤيا ، مما لا يرجع إلى بشـارة ، ولا نـذاره ، فـإن كثـيراً من النـاس يسـتدلون على المسـائل العلمية ، بالمنامـات ، وما يُتلقى منها تصـريحاً ، فإنها وإن كـانت صحيحة ، فأصلها الذي هو الرؤيا ، غير معتبر في الشريعة في مثلها ، 000وإنما ذُكـرت الرؤيا تأنيسـاً ، وعلى هـذا يُحمل ما جاء عن العلماء من الاستشهاد بالرؤيا »[2] 0

« ومن هنا يُعلم أن كل خارقة حدثت ، أو تحدث إلى يـوم القيامة ، فلا يصح ردها ولا قبولها ، إلا بعد عرضـها على أحكـام الشـريعة ، فـإن سـاغت هنـاك فهي صـحيحة مقبولة في موضـعها ، وإلا لم تقبل إلا الخـوارق الصـادرة على أيدي الأنبياء - عليهم السـلام - فإنه لا نظر فيها لأحد ، لأنها واقعة على الصحة قطعـاً ، فلا يمكن فيها غـير ذلك ، ولأجل هـذا حكم إبـراهيم - - في ذبح ولـده بمقتضى رؤياه ، وقال له ابنه - كما جـاء في كتـاب الله العزيز - :] 000يا أبتِ افعل ما تؤمر000[[الصافات : 102 الآية]0 وإنما النظر فيما انخـرق من العـادات ، على يد غـير المعصوم»[3] 0

وبهذا يكون كل ما وقع أو سيقع ، من الصوفية أو غـيرهم ، من الكشف والرؤيا ، محل نظر ، حـتى يقـوم عليه من كتاب الله وسنة رسوله -- برهان 0

وقد استشهد غير واحد من علماء السلف في القرن الثـامن، بقـول محمد بن سـيرين[4] إذا سـئل عن الرؤيا ، كان يقول للسائل : « اتق الله في اليقظة ، ولا يغـرك ما رأيت في المنام»[5] 0

---

1 - الآداب الشرعية ، 3/ 430 ، وانظر: الفتاوى ، 1/ 172-173
2 - الموافقات ، 1 / 114- 115 ، وانظر : تفسير القرآن العظيم ، 2/ 438
3 - الموافقات ، 2/ 481
4 - انظر : صفوة الصفوة ، 3/161
5 - البداية والنهاية ، 9/ 322 وانظر الآداب الشرعية ، 3/ 435

ونقل ابن مفلح ، كلام ابن عقيل[1] ، في ذمه الصوفية ، لأنهم يعولون على ما رأوا ، لا على ما رووا ، فقال : « ما على الشريعة أضر من المتكلمين والمتصوفين ، فهؤلاء يفسدون العقول بتوهمات شبهات العقول ، وهؤلاء يفسدون الأعمال ، ويهدمون قوانين الأديان 0
قال : وقد خبرت طريق الفريقين ؛ غاية هؤلاء الشك ، وغاية هؤلاء الشطح ، والمتكلمون عندي خير من الصوفية ، ما لله طائفة أجل من قوم حدثوا عنه ، وما أحدثوا ، وعولوا على ما رووا لا على ما رأوا »[2] 0

ونقل ابن كثير ، كلام ابن الجوزي[3] ، في أحد الصوفية ، الذي يدعي رؤية رسول الله -- ، يقظة لا مناماً ، ويسأله عن كل ما يشكل عليه ، فقال : « كانت له نكت ، إلا أن الغالب على كلامه التخليط، والأحاديث الموضوعة المصنوعة ، والحكايات الفارغة والمعاني الفاسدة ، 000 ومن ذلك أنه كان كلما أشكل عليه شيء ، رأى رسول الله -- في اليقظة فسأله عن ذلك ، فدله على الصواب »[4] 0

ولا شك أن هذه فرية عظيمة على رسول الله -- ، فقد تعرضت الأمة لهزات كبيرة ومحن جسيمة ، وفيها من هو أكرم عند الله وعند رسوله -- من هذا الصوفي ، أمثال: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي -- ، وكانوا بأمس الحاجة لرسول الله -- ، ومع ذلك لم يروه ، ولم يلتقوا به -- يقظة بعد موته ألبته 0

3- رؤية الخضر -- :

تصدى علماء السلف ، في القرن الثامن ، لزعم آخر درج عليه - بعض - الصوفية ، وهو إمكانية لقاء الخضر -- ، يقظة بعد موته، والاستغناء عن الوحي ، بالعلم اللدني والإلهام ، كما كان الخضر مع موسى - عليهما السلام - ، فقد تصدى ، لهذه البدعة ، ابن أبي العز

---

[1] - علي بن عقيل بن محمد بن أحمد البغدادي ، أبو الوفاء ، أحد الأئمة الأعلام ، ولد سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة هجرية ، في جمادى الآخرة ، وتوفي ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثلاث عشر وخمسمائة 0(الذيل على طبقات الحنابلة / 3/142،162) 0
[2] -الآداب الشرعية ، 1/ 228
[3] - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، لابن الجوزي ، ط1، (حيدر آباد : مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، بعاصمة حيدر آباد الدكن ، 1359هـ) ، 9/ 261
[4] - البداية والنهاية 12/ 693 -694 ، والصوفي المقصود هو: أحمد بن محمد بن محمد الغزالي شقيق أبي حامد الغزالي

الحنفي الـــذي قـــال : « وأما من يتعلق بقصة موسى مع الخضر - عليهما الســـلام - ، في تجـــويز الاســـتغناء عن الوحي بالعلم اللدني الذي يدعيه بعض من عدم التوفيق : فهو ملحد زنـديق ، فـإن موسى - ﷺ- لم يكن مبعوثـاً إلى الخضر ، ولم يكن الخضر مأموراً بمتابعته ، ولهذا قال له : أنت موسى بني إسرائيل ؟
قال : نعم 0

ومحمد -ﷺ- مبعوث إلى جميع الثقلين ، ولو كان موسى وعيسى - عليهما السلام - حـيين ، لكانا من أتباعه ، 000 فمن ادعى أنه مع محمد -ﷺ- ، كالخضر مع موسى - عليهما السـلام - ، أو جـوز ذلك لأحد من الأمة ؛ فليجـدد إسلامه وليشهد شهادة الحق ، فإنه مفارق لدين الإســلام بالكلية ، فضلاً عن أن يكون من أولياء الله ، وإنما هو من أولياء الشيطان ، وهذا الموضع مفرق بين زنادقة القـوم ، وأهل الاستقامة»[1] 0

وبين الإمام الذهبي بطلان زعم بعض الصوفية ، رؤية الخضر -ﷺ- ، وأخذهم العلم والإلهـام منه ، ورد على ابن عربي[2] 0

وبيّن إنما يراه ليس الخضر -ﷺ- ، وإنما هي توهمات وخيالات ، لا أساس لها في واقع الحال ، فقال :

« وهذا الرجل - ابن عربي - كان قد تصوف ، وانعـزل وجـاع وسـهر ، وفُتح عليه بأشـياء امـتزجت بعلم الخيـال ، والخطـرات والفكـرة ، فاسـتحكم به ذلك حـتى شاهد بقـوة الخيـال ، أشـياء ظنها موجـودة في الخـارج ، وســمع من طيش دماغه خطابــاً ، اعتقـــده من الله ، ولا وجود لذلك أبداً في الخارج »[3] 0

وقد دحض ابن كثير زعم بعض الصوفية ورد قولهم إن الخضر- ﷺ- حي ، وأنهم يلتقون به ، متى شـاءوا يقظة لا مناماً ، بقوله : « 000ولو كان حياً لوجب عليه الإيمان بمحمد- ﷺ- ونصرته0

فكيف إن كان الخضر ولياً ، كما يقوله طوائف كثيرون ، فأولى أن يدخل في عمـوم البعثة ، وأحـرى ولم ينقل في حـديث حسن ، بل ولا ضـعيف يعتمد ، أنه جـاء يوماً واحداً ، إلى رسول الله -ﷺ- ولا اجتمع به0

---

[1] - شرح الطحاوية ، 774
[2] - انظر : الأنوار القدسية ، 1/ 49 ، وذيل طبقات الحنابلة ، 3/ 70
[3] - تاريخ الإسلام ، (الطبقة 64) ، ص 354

وما ذكر من حديث التعزية فيه ، وإن كان الحاكم[1] قد رواه فإسناده ضعيف »[2]0

وقال عند تفسير قوله - تعالى - :] وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد [، [الأنبياء : 35] 0
« استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلى أن الخضر -عليه السـلام -، مـات وليس بحي ، لأنه بشر ، سواء كان ولياً ، أو نبياً، أو رسولاً»[3] 0

وقال ابن القيم :« إن غاية ما تمسك به من ذهب إلى حياته ، حكايـات منقولة ، يخـبر الرجل بها أنه رأى الخضر -- فيالله العجب! هل للخضـر -- علامة يعـرف بها من رآه ؟ وكثـير من هـؤلاء يغـتر بقوله : أنا الخضر ، ومعلوم أنه لا يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهـان من الله ، فأين للرأي أن المخبر له صادق ، لا يكذب » 0
وأضاف ابن القيم : «أن الخضر -- فارق موسى بن عمران -- ، كليم الرحمـن ، ولم يصاحبـه ، وقـال:] هذا فراق بيني وبينك [[الكهف : 78 الآية]0
فكيف يرضـى لنفسه بمفارقته لمثل موسى -- ، ثم يجتمع بجهلة العُبّاد الخـارجين عن الشـريعة ، الـذين لا يحضـــرون جمعة ولا جماعـة ، ولا مجلس علم ، ولا يعرفـون من الشـريعة شـيئاً ؟ وكل منهم يقـول : قـال الخضر ، وجاءني الخضر وأوصاني الخضر! » [4] 0

---

[1] - أخـرج الحـاكم في المسـتدرك ،على الصـحيحين للإمـام الحافظ أبي عبد الله الحـاكم النيسابوري ، بإشراف د: يوسف المرعشلي ، (بـيروت : دار المعرفة) ، كتـاب المغـازي ، تعزية الخضر عند وفاته -58 /3 ، -- ، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : « لما قبض رسول الله - - أحدق به أصحابه ، فبكوا حوله واجتمعـوا ، فـدخل رجل أصـهب اللحية جسيم صبيح ، فتخطأ رقابهم ، فبكى ثم التفت إلى أصحاب رسول الله -- ، فقال : إن في الله عزاء من كل مصيبة ، وهو ضامن كل فائت ، وخلفاً من كل هالك ، فإلى الله فأنيبوا ، وإليه فارغبوا ، ونظرة إليكم في البلاء ، فانظروا ، فإنما المصاب من لم يجـبر ، وانصـرف ، فقال بعضهم لبعض : تعرفون الرجل0 فقال أبو بكر وعلي - رضي الله عنهما - نعم هذا أخو رسول الله -- الخضر - عليه السلام - » 0 قال الإمام ابن القيم : « الأحاديث التي ذكر فيها الخضر وحياته ، كلها كذب ، ولا يصح في حياته حديث واحد » 0 المنار المنيف ، ص 58

[2] - البداية والنهاية ، 1/ 33

[3] - تفسير القرآن العظيم ، 3/ 187

[4] - المنار المنيف ، ص 62،64

وقال ابن كثير : « فلو كان الخضر حياً ، لكان وقوفه تحت هذه الراية ، أشرف مقاماته ، وأعظم غزواته ،000 ثم ما الحاصل له على هذا الاختفاء وظهـوره أعظم لأجـره ، وأعلى في مرتبته ، وأظهر لمعجزته ، ثم لو كـان باقياً بعده - أي بعد رسول الله ﷺ - لكان تبليغه عن رسول الله -ﷺ- ، الأحاديث النبوية والآيات القرآنية ، وإنكـاره لما وقع من الأحاديث المكذوبة ، والروايات المقلوبة ، والآراء البدعية ، والأهــواء العصــبية ، وقتاله مع المســلمين في غــزواتهم ، وشــهود جمعهم وجماعــاتهم ، ونفعه إيــاهم ودفعه الضــرر عنهم ممن ســواهم ، وتســديد العلمــاء والحكــام ، وتقرير الأدلة والأحكـام ، أفضل ما يقـال عنه من كونه في الأمصــــار ، وجوبه الفيـــافي والأقطــــار ، واجتماعه بعبـاد لا يعـرف أحـوال كثـير منهم ، وجعله لهم كالنقيب المترجم عنهم ، وهذا الذي ذكرنـاه لا يتوقف أحد فيه بعد التفهيم »[1] ، إلا من أراد سلوك طريق الضـلال ، واتباع الأباطيل والأوهام 0

ب. موقف علماء السلف في القرن الثـامن ، من منهج الصوفية في الإلهام والخـواطر والهواتف 0

وقف علماء السلف في القرن الثامن الهجـري موقفاً حازماً ، من دعاوى الصـوفية ، تلقيهم العلم والأمر والنهي ، عن طريق الإلهام والخواطر والهواتف 0

فقد استدل الإمام ابن مفلح ، على خطأ وضلال بعض الصــوفية ، وجنــوح دعــواهم ، بقــول أبي زرعة ، عندما سئل عن الحارث المحاسبي وكتبة ، فقـال للسـائل :

«000إيــاك وهــذه الكتب ، هــذه كتب بــدع وضــلالات ، وعليك بـالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك 0 قيل له : في هـذه الكتب عبرة 0 فقال : من لم يكن له في كتاب الله عـبرة ، فليس له في هــذه الكتب عــبرة ، بلغكم أن ســفيان[2]

---

[1] - البداية والنهاية 1/ 374- 375

[2] - سـفيان بن سـعيد بن مسـروق بن حـبيب ، شـيخ الإسـلام ، إمـام الحفـاظ سـيد العلمـاء العاملين في زمانه ، أبو عبد الله الثوري ، الكوفي المجتهد ، ولد سنة سبع وتسعين اتفاقـاً ، ومات سنة ست وعشرين ومئة 0 (السير ، 7/ 230)

ومالكـــاً[1] والأوزاعي[2]، صـــنفوا في هــــذه الكتب في الخطرات والوساوس ؟ ما أسرع الناس إلى البدع ! »[3]

وقال الـذهبي عن الأسـباب المؤدية إلى الوسـاوس والخطرات :« العابد العري من العلـم ، مـتى زهد وتبتل ، وجـاع وخلا بنفسه ، وتـرك اللحم والثمـار ، واقتصـر على الدقة والكســــرة ، صــــفت حواسه ولطفت ، ولازمته خطرات النفس ، وسمع خطاباً يتولد من الجوع و السـهر ، لا وجــود لــذلك الخطــاب - والله - في الخــارج ، وولج الشـيطان في باطنه وخــرج ، فيعتقد أنه وصل وخُـوطب وارتقى ، فيتمكن منه الشيطان ويوسوس له»[4]0

وقال في ترجمة صوفي[5] آخر : « 000 ثم قل من عمل هذه الخلوات المبتدعة ، إلا واضطرب ، وفسد عقله ، وجف دماغه ، ورأى مـرائي، وسـمع خطابـاً لا وجـود له في الخــارج ، 000 وإن كـــان جـــاهلاً بالســـنن وبقواعد الإيمـان ، تزلـزل توحيـده ، وطمع فيه الشـيطان ، وادعى الوصول ، وبقي على مزلة قدم ، أو ربما تزندق »[6]0

وذكر ابن كثير عن بعض الصوفية [7] مثل ذلك ، فقـال : « 000قد وقعت له كائنة في أيـام ، الظـاهر أنه أصـــــيب في عقله ، أو زال فكـــــره ، أو قد عمل على الرياضة ، فــاحترق باطنه من الجــوع ، فــرأى خيــالات لا حقيقة لها ، فاعتقد إنها أمر خــــارجي ، وإنما هو خيــــال فكري فاسد »[8]0

---

[1] - الإمام مالك ـ شيخ الإسلام حجة الأمة ، إمام دار الهجـرة ـ أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عـامر ـ مولـده على الأصح في سـنة ثلاث وتسـعين ـ عـام مـوت أنس خـادم رسول الله -ﷺ- ، ونشأ في صون ورفاهية وتجمل ـ وطلب العلم وهو حدث ـ ومات سنة تسع وسبعين ومئة 0 (السير ـ 8/ 48 ـ 130)

[2] - عبد الرحمن بن عمر بن يحمد ، شيخ الإسلام ـ وعالم أهل الشام ـ أبو عمـرو الأوزاعي ، كـان يسـكن بحلة الأوزاع بدمشق ، ثم تحـول إلى بـيروت مرابطـاً بها إلى أن مـات ـ وكـان مولده في حياة الصحابة - رضي الله عنهم - ـ سـنة ثمـان وثمـانين 0 (السـير 7/ـ 107 - 109)

[3] - الآداب الشرعية ، 2/ 82 -83 وانظر : السير ـ 12/ 112

[4] - السير ، 12/ 90

[5] - هو : أبو محمد جعفر بن محمد بن الحسن الأبهري ، مات في شوال سنة ثمان وعشـرين وأربع مئة ، عن ثمان وسبعين سنة 0 (السير 17/ 576)

[6] - السير ، 17 / 577-578

[7] - هو : زين الــدين أبو محمد عبد الــرحمن بن محمــود البعلبكي الحنبلي 0 (الســير 14/ 588)

[8] -البداية والنهاية : 14/ 588

أما الهواتف ، فقد بين علماء السلف ، في القرن الثامن ، أنه لا ينبني عليها حكم ، وليست مصدراً شرعياً ، معتمداً ، و خطئوا الصوفية لنهجهم ، المتضمن اعتبار الهواتف حجة شرعية ، ومنهجاً من مناهج التلقي 0

فقد ذكر الإمام الشاطبي ، أن الصوفية يستحسنون ويعملون بأشياء لم يأت بها كتاب ولا سنة ، ولا عمل بأمثالها السلف الصالح ، فذكر منها :

«أنهم يعتمدون في كثير من الأحكام على الكشف ، والمعاينة ، وخرق العادة ، فيحكمون بالحل والحرمة ، ويثبتون على ذلك الإقدام والإحجام»[1] 0

ومن ذلك ما قاله الشبلي :« اعتقدت وقتاً ، أن لا أكل إلا من حلال ، فكنت أدور في البراري ، فرأيت شجرة تين ، فمددت يدي إليها لآكل منها ، فنادتني الشجرة : احفظ عليك عهدك ، لا تأكل مني فإني ليهودي » [2]0

وقال إبراهيم الخوّاص : « دخلت خربة في بعض الأسفار ، في طريق مكة بالليل، فإذا فيها سبع عظيم فخفت ، فهتف بي هاتف : اثبت ، فإن حولك سبعين ألف ملك يحفظونك»[3] 0

قال الإمام الشاطبي عن ذلك : « 000 فمثل هذه الأشياء ، إذا عرضت على قواعد الشريعة ، ظهر عدم البناء عليها ، إذ المكاشفة ، أو الهاتف المجهول 000 لا يدل على التحليل ولا التحريم ، 000 ولو هتف هاتف ؛ بأن فلاناً قتل المقتول الفلاني ، أو أخذ مال فلان ، أو زنى أو سرق ، أكان يجب عليه العمل بقوله ؟ أو يكون شاهداً في بعض الأحكام ؟ شرعيّ ؟ هذا مما لا يعهد في الشرع مثله »0

ثم قال وكذلك في مسألة الخوّاص : « فإن التوقي من مظان المهلكات مشروع ، فخلافه يظهر أنه خلاف

---

[1] - الاعتصام 1/ 172

[2] - وردت هذه الحكاية في الكواكب الدرية ، بالنص الآتي : « وأراد الشبلي أن يأكل من شجرة ـ فلما مد يده ـ قالت : لا تأكل مني ؛ فإني ليهودي » 1/ 12 0

[3] - الاعتصام ـ 1/ 172

المشــروع ، وهو معتــاد أهل هاته الطـــريقة - أي طريقة الصوفية - وكـذلك كلام الشـجرة للشـبلي - إن ثبت - من جملة الخـوارق ، وبنـاء الحكم عليه غـير معهـود »[1] ، ولا يعتد به إطلاقاً ، لأن طريق الأحكـام الشـرعية واضح وبيّن ، ومن غرف شريعة ربه المسـتمدة من القـرآن الكـريم ، والســـنة والنبوية المطهـــرة ، فليس بحاجة إلى أن يأخذ الأحكام الشرعية ، من غير هذا الطريق 0

[1] - الاعتصام ، 1/ 172- 173

المبحث الثـــاني : موقف علمـــاء الســـلف ، في القرن الثـامن الهجـري، من منهج الصـوفية في الذوق والوجد 0

ويتكون من مطلبين :
المطلب الأول : منهج الصوفية في الذوق والوجد 0
المطلب الثاني : موقف علماء السلف في القرن الثـامن من منهج الصوفية في الذوق والوجد0

المطلب الأول: منهج الصوفية في الذوق والوجد 0

أولاً : تعريف الذوق ، لغة واصطلاحاً 0

أ- الذوق لغة : « ذاقه ذوقاً ومذاقاً و مذاقة : اختبر طعمه

وتذوقه : ذاقه مرة بعد مرة ، وتذاوقوا الرماح : تناولوها»[1]0

والمذاق : طعم الشيء [2] 0

ب- الذوق اصطلاحاً : « الذوق في معرفة الله ؛ عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه ، في قلوب أوليائه ، يفرقون به بين الحق والباطل، من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب ، أو غيره »[3]

ثانياً : تعريف الوجد لغة واصطلاحاً 0

أ- الوجد لغة : الإدراك ، وجد مطلوبه ؛ الشيء يجده وبه وَجْداً : في الحب ، وكذا في الحزن ، والوجد :الغنى ، و (تَوَاجَدَ) فلان : أرى من نفسه الوَجْدَ[4]0

ب- الوجد اصطلاحاً: هو « ما يصادف القلب ويَرِدُ عليه ، بلا تكلّف وتصنّع ، وقيل هو : بروق تلمع ثم تخمد سريعاً »[5]

وقيل : « ما يصاف القلب من الأحوال المُغَيِّبّة له ، عن شهود الوجود»[6] 0

ثانياً : منهج الصوفية ، في الذوق والوجد 0

أ- منهج الصوفية في الذوق :

---

[1] -القاموس المحيط ، ص 1143 ، مادة (ذاقه)
[2] - المعجم الوسيط ، 1/ 318 مادة (ذاق)
[3] - التعريفات ، ص 112 ، وانظر : اصطلاحات الصوفية ، ص 181
[4] -انظر : لسان العرب ، 3/ 445 ، مادة (وجد) ، ومختار الصحاح ، ص 626 ، مادة (وجد) ، والقاموس المحيط ،ص 414 ، مادة (وجد) ، ومعجم اصطلاحات الصوفية ، ص 371
[5] - التعريفات ، ص 270
[6] - اصطلاحات الصوفية ، لابن عربي ، ص 12

فرّق الصوفية بين الذوق والكشف ، بأن جعلوا الكشف يختص بالقلوب أحياناً ، وذلك برؤية القلب لبعض الأمور ، عن طريق المكاشفة، وقد يتعلق الكشف بالقلب أحياناً ، لا عن طريق الرؤية ، بل بحلول العلوم في القلوب ، عن طريق الإلهام ، وقد تتعلق المكاشفة بالعين البصرية ، كرؤية الرسول -ﷺ- ، والخضر -ﷺ- والملائكة يقظة ، وقد تتعلق بالسمع ، عن طريق الآذان ، كما في الهواتف0

أما الذوق ، فليس لبصر العين ، وسمع الأذن فيه نصيب؛ بل يختص بالقلب ، عن طريق التجلي الإلهي ، لهذا القلب[1]0

قال القشيري :«ومن جملة ما يجري في كلمهم ، الذوق والشرب ، ويعبرون بذلك عما يجدونه من ثمرات التجلي ، ونتائج الكشوف ، بواده[2] الواردات ، وأول ذلك الذوق000»[3]– ، « فصاحب الذوق متساكر ، وصاحب الشرب سكران »[4] 0

وقال الغزالي : « 000لأن علوم الأنبياء - عليهم السلام - كلها كانت من هذا الطريق - طريق الإلهام ، والرياضة ، والتخلص من الشهوة - لا من طريق الحواس ، كما قال سبحانه و تعالى:]واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً [[المزمل : 8 الآية] 0

معناه الانقطاع عن كل شيء ، وتطهير القلب من كل شيء ، والابتهال إليه ، سبحانه وتعالى بالكلية ، وهو طريق الصوفية 000 وأما طريق التعلم ، فهو طريق العلماء ، وهذه الدرجة الكبيرة مختصرة من طريق النبوة ، وكذلك علم الأولياء ؛ لأنه وقع في قلوبهم بلا واسطة من حضرة الحق ، 000 وهذه الطريقة لا تفهم إلا بالتجربة ، وإن لم تحصل بالذوق ، لم تحصل بالعلم ،

---

1 - انظر: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية ـ ص 544
2 - البوادة : جمع بادهة وهي ما يفجأ القلب من الغيب ـ فيوجب بسطاً أو قبضاً 0(معجم اصطلاحات الصوفية ص64) 0
3 - القشيرية ـ ص 72
4 - القشيرية ـ ص 72

والواجب التصديق بها ، حتى لا تحرم شعاع سعادتهم »[5] 0

ب ـ منهج الصوفية في الوجد 0

اختلف أهل التصوف ، في الوجد : ما هو ؟ وتعددت آراؤهم ، وأقوالهم ، في ذلك 0

فقال عمرو بن عثمان المكي : لا يقع على كيفية الوجد عبارة ؛ لأنها سر الله تعالى ، عند المؤمنين الموقنين 0

وقيل : كل ما صادف القلب من غم ، أو فرح ، فهو وجد 0

وقيل : إن الوجد مكاشفات من الحق ، ألا ترى أن أحدهم ، يكون ساكناً فيتحرك ، ويظهر منه الزفير والشهيق [1] 0

وينظر الصوفية ، للوجد على أنه ، منهج لرؤية معنى من الأحوال الآخرة ، وطريقاً في كشف حالة بين العبد ، وبين الله -عز وجل- [2] 0

وقد حاول الغزالي ، تحديد مفهوم الوجد ، وبيان المراد منه فقال: « والأقاويل المقررة في السماع ، والوجد كثيرة ،000 فلنشتغل بتفهيم المعنى ، الذي الوجد عبارة عنه ، فنقول: إنه عبارة عن حالة ، يثمرها السماع ، وهو وارد حق جديد عقيب السماع ، يجده المستمع من نفسه ، وتلك الحالة لا تخلو عن قسمين :
فإنها إما ترجع إلى مكاشفات ، ومشاهدات ، هي من قبيل العلوم والتنبيهات 0

وإما أن ترجع إلى تغيرات ، ليست من العلوم ؛ بل هي كالشوق والخوف والحزن 000 وهذه الأحوال يهيجها السماع ويقويها 000 فقد يقوى الوجد في الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه»[3] 0

---

[5] - كيمياء السعادة (ملحق بالمنقذ من الضلال) ، لأبي حامد الغزالي ، تعليق وتصحيح : محمد محمد جابر ، (بيروت : المكتبة الثقافية)، ص 88- 90

[1] - انظر : اللمع ص375

[2] - انظر التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص 132

[3] -الإحياء ، 2/ 318-319

وأقوى مثيرات الوجد وبواعثه ، عند الصـوفية ، السماع0

ولذلك قالوا : « الوجد عبارة عمّا يوجد عند السماع »[1]

وهذا السماع يتنوع ؛ فقد يحدث الوجد ، من سماع كلام منثور ، وقد يحـدث عند سـماع القـرآن ، وقد يحـدث الوجد من سماع الأشعار المطربة الملحنة [2] 0

وذُكِـر عن أبي الحسين النوري : «أنه اجتمع ، مع جماعة من المشايخ ، في دعوة فجـرى بينهم مسـألة في العلم ، وأبو الحسين النوري سـاكت ، قـال: ثم رفع رأسه فأنشدهم هذه الأبيات :

رُبَّ ورقاءهتوف في الضحى ذات شجو صـدحت فـي فنن
فبكائي ربمــا أرقهـــا وبكاها ربمـــا أرقنـي
هي إن تشكو فلا أفهمهــا وإذا أشكو فـــلا تفهمني
غير أني بالجوى أعرفهــا وهي أيضاً بالجوى تعرفنـي

قال: فما بقي في القوم أحد إلا قام وتواجد » [3] 0

وعن الجنيد أنه كان يقول : « إذا قوي الوجد ، يكون أتم ممن يستأثر بالعلم» [4] 0

---

[1] -الإحياء 2/ 318
[2] - المصادر العامة للتلقي عند الصوفية ـ ص 644
[3] - اللمع ، ص 379
[4] - اللمع ، ص 381

المطلب الثـــاني : موقف علمـــاء الســـلف ، في القــرن الثــامن ، من منهج الصــوفية في الــذوق والوجد 0

فند علماء السـلف ، في القـرن الثـامن ، منهج الصـوفية في الـذوق والوجد ، وبينـوا أن منهج الصـوفية ، في الـــذوق والوجد ، منهج خـــاطئ ، لا يمت إلى الشـــرع الحـنيف - في كثـير من جوانبه - بصـلة ، وفرقـوا بين ما يظهر على المؤمـنين الخاشـعين ، من علامـات الخـوف والبكاء والقشعريرة ، وبين ما يظهر على بعض الصوفية ، من ذوق ووجد ، وفرقوا بين كل منهما ، من حيث الدوافع ، والصفات 0

وممن فرق بين الفريقين الإمام الشاطبي ، في وصـفه التواجد الـذي يظهر على المؤمـنين المتمسـكين بالكتاب والسنة ، بقولـه: « والـذي يظهر في التواجد ، ما كان يبدوا على جملة ، من أصحاب رسول الله -ﷺ- ، وهو البكـاء واقشـعرار الجلد ، التـابع للخـوف ، الآخذ بجـامع القلوب »[1] 0

وقال: « ولابد من النظر في الأمر كله ، الموجب للتأثير الظاهر ، في السلف الأولين ، مع هؤلاء - الصوفية - المـــدعين ، فوجـــدنا الأولين يظهـر عليهم ذلك الأثر بسبب ذكـر الله ، أو لسـماع آية من كتـاب الله ، وبسـبب رؤية اعتبارية - لما في قصـة الربيع عند رؤيته الأتون وهو موقد النار - ولسبب قراءة في صلاة ، أو غيرها ، ولم نجد أحـــداً منهم - فيما نقل العلمـــاء - يســـتعملون الـــترنم بالأشـعار ، لـترق نفوسـهم ، فتتـأثر ظـواهرهم ، وطائفة الفقـــراء - الصـــوفية - الضد منهم ، فـــإنهم يســـتعملون القـــرآن أو الحـــديث ، والوعظ والتـــذكير ، فلا تتـــأثر ظـــواهرهم ، فـــإذا قـــام المزمر تســـابقوا إلى حركـــاتهم المعروفة »[2]0

وقرر ابن أبي العز ، أن من منهج أصحاب الذوق والوجد ، تقديمهما على الشرع المطهر ، فقال : « وقـال أصـحاب الـذوق والوجد : إذا تعـارض الـذوق والكشف ، وظاهر الشرع ، قدمنا الذوق والكشف»[3]0

---

[1] - الاعتصام ، 1/ 224
[2] - الاعتصام ـ 1/ 228
[3] - شرح الطحاوية ـ ص 236

وقد أنكر الذهبي ، ذلك المنهج ، الذي ارتضاه الصوفية ، فقال : « وإذا رأيت السالك التوحيدي ، يقول : دعنا من النقل ومن العقل ، وهات الذوق والوجد ، فأعلم أنه إبليس قد ظهر بصورة بشر ، أو قد حل فيه ، فإن جبنت منه فاهرب ، وإلا فاصرعه وابرك على صدره ، و اقرأ عليه آية الكرسي ، واخنقه»[1] 0

وبيّن ابن أبي العز : «000 أن من لم يسلم للرسول -- نقص[2] توحيده ، فإنه يقول برأيه وهواه ، أو يقلد ذا رأى ، وهو بغير هدى من الله ، فينتقص من توحيده ، بقدر خروجه عما جاء به الرسول -000 ، - وإنما دخل الفساد في العالم من ثلاث فرق [3]000والرهبان : وهم جهال المتصوفة ، المعترضون على حقائق الإيمان والشرع ، بالأذواق والمواجيد و، والخيالات و الكشوفات الباطلة الشيطانية»[4] 0

ونص الذهبي على أن الذوق والوجد ، لا ينهض بمخالفة الكتاب والسنة ، فقال: « ولا ينهض الذوق والوجد ، إلا على تأسيس الكتاب والسنة »[5]

وبين الشاطبي أنه : « لم يقم لنا دليل على اتباع أقوال الصوفية ، وأعمالهم ، إلا بعد عرضها ، وبذلك وصى شيوخهم ، وإن كان ماجاء به صاحب الوجد والذوق ، من الأحوال والعلوم والفهوم ، فليعرض على الكتاب والسنة ، فإن قبلاه صح، وإلا لم يصح »[6]

ولذلك قال عن أصحاب الذوق والوجد من الصوفية : «فالحاصل من هؤلاء : أنهم أحسنوا الظن بأنهم فيما عليه مصيبون ، و أساؤوا الظن بالسلف الصالح ؛ أهل العلم الراجح الصريح ، وأهل الدين الصحيح »[7]

وقال ابن رجب ، مثنياً على من ترك الذوق والوجد ، وطريقة الصوفية : « وأقبل على مطالعة كتب الحديث والسنة والآثار ، وتخلى من جميع طرائقه ، وأحواله

---

[1] -السير ، 4/ـ 472 وانظر : منهج الإمام الذهبي في العقيدة ،وموقفه من المبتدعة ، «رسالة ماجستير» إعداد سعيد عيضة الزهراني ، (الرياض : كلية أصول الدين ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، 1411هـ) ، ص 505

[2] - بل نقض توحيده ، فمن لم يسلم للرسول -- ولم يتبع ما جاء به ، وقال برأيه ، فقد نقض توحيده ، وخرج من إيمانه ، لقوله تعالى :] فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً [[النساء : 65]

[3] - هم : ملوك السوء والأحبار والرهبان 0

[4] -شرح الطحاوية ، ص 234-235

[5] - السير 18 / 509

[6] - الاعتصام 1/ 176

[7] -الاعتصام 1/219

وأذواقه ، وسـلوكه 000 وشـرع في الـرد على طوائف المبتدعة الذين خالطهم وعرفهم »[1] 0

هذه مواقف علماء السلف ، في القرن الثـامن الهجـري ، من منهج الصـوفية في الـذوق[2] والوجد[3] ، بينوا خطأهم ، وفنـدوا حججهم ، في هـدي من كتـاب الله العزيز ، وسـنة رسـوله الكـريم -ﷺ- من دون حيف ولا شطط ، نسأل الله لهم الرحمة والمغفرة0

ويتكون من تمهيد ، وثلاث مباحث :

التمهيد : وفيه تعريف الاسـتدلال ؛ لغة واصطلاحاً 0

المبحث الأول: موقف علمـاء السـلف ، في القـرن الثـامن ، من منهج الاسـتدلال بـالقرآن الكريم ، عند الصوفية 0

[1] -الذيل على طبقات الحنابلة 4/ 359 ، في ترجمة ابن شيخ الحزاميين الذي ترك طريقة الصوفية ، وانتسب إلى مذهب السلف 0
[2] - انظر: مدارج السالكين ، 3/ 92- 104
[3] - انظر: مدارج السالكين ، 3/ 69-77

المبحث الثـــاني : موقف علمـــاء الســـلف ، في القرن الثامن ، من منهج الاستدلال بالسنة ، عند الصوفية 0

المبحث الثـــالث : موقف علمـــاء الســـلف ، في القــرن الثــامن ، من منهج الاســتدلال ، بأفعــال وأقوال الشيوخ ، عند الصوفية 0

التمهيـــد تعريف الاستدلال ، لغة واصطلاحاً0

أ-الاستدلال لغة :

الـدَّلِيلُ ما يُستــدل به ، من دّلَّ على الشـيء ، إذا أرشد إليه

و « دَلَّ » : عليه وإليه : أرشد ، ويقــال : دله على الطريق ونحوه ، و«استدل» : عليـه طلب أن يُـدل عليه ، وبالشيء على الشيء ، اتخذه دليلاً عليه [1] 0

ب- الاستدلال اصطلاحاً:

1 - انظر: لسان العرب 11/248

« عملية عقلية يبدأ بها العقل من قضايا يسلم بها ، ويســير إلى قضــايا أخــرى تنتج عنها بالضــرورة ، دون التجاء إلى التجربة »[1]

أو « إقامة الدليل على صحــة الدعوى » [2] 0

---

[1] - سين وجيم عن مناهج البحث العلمي ، طلعت همام (عمان : مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 1404هـ) ، ص11

[2] - معجم لغة الفقهاء ص 60

المبحث الأول : موقف علمــــاء الســــلف ، في القــرن الثــامن ، من منهج الاســتدلال بــالقرآن الكريم ، عند الصوفية 0

المطلب الأول: منهج الاستدلال بالقرآن الكــريم عند الصوفية :

من الأسس والركائز المهة ، في منهج الاستدلال عند الصوفية ، اتباع طـريق التأويل[1]الفاسد - بل التحريف - ، في اسـتدلالهم بـالقرآن الكـريم ، حـتى تتوافق نصـوص القــرآن الكــريم ، مع مــرادهم ومنهجهم في النصــوص الشرعية ؛ لأنهم لا يـجدون من الآيـات القرآنية ، ما يعضد ويقوي ما يباشـرونه من أعمـال وأقـوال ، بشـكل صـريح وجلي ، وأمام هذه الحقيقة لجئوا إلى التأويل ، حتى يخدم أغراضهم ، ويحقق أهدافهم ، فعمدوا إلى التأويل الفاسد للقرآن الكـريم ، وأول زعم بـادروا إليه من هـذا التأويل ، قـول بعضـهم : بسـقوط التكـاليف الشـرعية ، عنهم ، إذا بلغوا مرتبة معينة 0

وقد أشار إلى حال أولئك القشيري - وهو من الصوفية - في رسالته ، فقـال: « وقد حصل الضـعف في هــذه الطريقة ، - طريقة الصــوفية - لا بل اندرست ، وقد مضى الشيوخ ، الذين كان بـهم اهتداء0

[1] - التأويل عند السلف :« تفسير الكلام وبيان معناه ، سواء أوافق ظاهره أو خالفه ، فيكون التأويل والتفسـير عند هـؤلاء متقاربـاً ، أو مترادفـاً ، وهـذا ما عنـاه مجاهد من قوله : « إن العلماء يعلمون تأويله» يعني القـرآن ، وما يعنيه ابن جرير الطـبري بقوله في تفسـيره : « القول في تأويل قوله تعالى كذا وكـذا » ، وبقوله : « اختلف أهل التأويل في هـذه الآية » ، ونحو ذلك فإن مراده التفسير ، وقد صـار لفظ التأويل بسـبب تعـدد الاصـطلاحات ، له ثلاث معـان : أحـدها : أن يـراد بالتأويل حقيقة ما يـؤول إليه الكلام ، وإن وافق ظـاهره ، وهـذا المعنى الذي يراد بلفظ التأويل في الكتاب والسنة 0
والثاني : يراد بلفظ التأويل التفسير ، وهو اصطلاح كثير من المفسرين ، ولهذا قال مجاهد - إمام المفسرين - : إن الراسـخين بـالعلم يعلمـون تأويل المتشـابه ، فـأراد بـذلك تفسـيره ، وبيان معانيه ، وهذا مما يعلمه الراسخون 0
والثالث : أن يراد بلفظ التأويل صـرف اللفظ عن ظـاهره الـذي يـدل عليه ظـاهره ، إلى ما يخـالف ذلك ، لـدليل منفصل يـوجب ذلك ، وهـذا التأويل لا يكـون إلا مخالفـاً لما يـدل عليه اللفظ ويبينه ، وتسمية هذا تأويلاً لم يكن في عرف السلف 000وهـذا التأويل في كثـير من المواضع - أو أكثرها وعامتها - ، من بـاب تحريف الكلم عن مواضـعه ، من جنس تـأويلات القرامطة والباطنية ، وهذا التأويل الذي اتفق سـلف الأمة وأئمتها على ذمه ، وصـاحوا بأهله من أقطار الأرض ، ورموا في آثارهم بالشهب 0
أما التأويل عند المتكلمة والمتصـوفة : هو صـرف اللفظ عن المعـنى الـراجح إلى المعـنى المرجوح ، وعلى هذا فالمتأول مطالب بأمرين :
الأمر الأول : أن يبين احتمال اللفظ للمعنى الذي حمله عليه وادعى أنه المراد 0
والأمر الثـاني : أن يـبين الـدليل الـذي أوجب صـرف اللفظ عن معنـاه الـراجح إلى معنـاه المرجوح ، وإلا كان تأويلاً فاسداً ، أو تلاعباً بالنصوص » 0 (الفتاوى ، 13/ 277 ، وانظر : 4/68-69 ، والتفسير والمفسرون 1/ 19 ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، بقلم الشيخ محمد الزرقـاني ، دار إحيـاء الـتراث العـربي ، 1/ـ 472 ، والـرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة ، ط2، الرياض : دار اللواء ، 1402 هـ 0)

وقل الشباب الذين كان لهم بسيرهم وسنتهم إقتداء ،وزال الورع وطوى بساطه ، واشتد الطمع وقوي رباطه ، وابتعدت عن القلوب حرمة الشريعة ، فعدوا قلة المبالاة بالدين ، أوثق ذريعة ، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام 0

كما استخفوا بأداء العبادات ، واستهانوا بالصوم والصلاة ، 000 وادعوا أنهم تجردوا عن رق الأغلال - العبادات والشرائع - 000 وليس لله عليهم فيما يؤثرونه أو يذرونه ، عتب ولا لوم ، لأنهم كوشفوا بأسرار الأحدية »[1] 0

وقال بعض الصوفية : « إذا وصلت إلى مقام اليقين ، سقطت عنك العبادات »[2] ، متأولين قوله تعالى :] واعبد ربك حتى يأتيك اليقين[، [الحجر : 99]0

وقال الشعراني واصفاً حال أحد مشايخ الصوفية : « منهم سيدي الشريف المجذوب[3] 000 كان - - يأكل في نهار رمضان ، ويقول: أنا معتوق ، أعتقني ربي » [4] 0

كما أوّل بعض الصوفية ، قوله تعالى :] والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي [، [ق: 7]0

قال : إن « 000رواسي الأرض هم أولياء الله » [5] 0

ولا تخلوا طريقة تأويل الصوفية ، لآيات القرآن الكريمة ، من تعسف وشطط ، كما فعل ذلك ابن عربي حين قال : إن المراد بالشيطان في قوله تعالى:] إني مسني الشيطان بنصب وعذاب[، [ص : 41] 0

قال :« هو البعد ، وإن ما شعر به أيوب لم يكن ألم المرض ، بل ألم عذاب الحجاب و الجهل بالحقائق »[6] 0

ويزعم بعض الصوفية ، أنهم يستغنون بالكشف ، عن الاستدلال فيما عداه ، ولم يستثن حتى كتاب الله ، بل قدم الكشف عليه أيضاً[7] 0

---

[1] - القشيرية : ص 37

[2] - نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ، تأليف د: عرفان عبد الحميد فتاح ، ط1 (بيروت : دار الجيل ، 1413 هـ) ، ص 86

[3] - الشريف المجذوب ، كان ساكناً تجاه المجانين بالمارستان المنصور ، وله كشف ومثاقلات للناس ، الذين ينكرون عليه ، مات مطعوناً بخنجر 0 (طبقات الشعراني 2/150)

[4] - طبقات الشعراني ، 2/ 150

[5] - رماح حزب الرحيم ، بهامش جواهر المعاني 1/ 23

[6] - انظر : فصوص الحكم لابن عربي بقلم أبي العلا عفيفي ، ط2 (بيروت : دار الكتاب العربي ، 1400هـ) ، 13- 14 ، 237

[7] -انظر : الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ، 1/ 63

وقد طفحت كتب الصوفية ، بهذا التأويل الفاسد للقرآن الكـريم ، حـتى تتحقق أهـدافهم ، من خلال هـذا المنهج في الاسـتدلال [1]، ومن ذلك الاسـتدلال على بعض ما أحدثوه من بدع ، لا يقرها الشرع الحنيف، كاستـدلالهم ببعض الآيات ، على جواز الرقص والوجد ، أو إتلاف المال [2] 0

ومن منهج الصوفية في الاستدلال ، بالقرآن الكريم ، مـزج الآيـات القرآنية بعضـها ببعض ، وتفسـير بعضـها ببعض ، حيث لا يوجد صلة ظاهرة بينهـا ، ومن أشـهر من سلك هـذا المنهج ، ابن عـربي في كتابه فصـوص الحكم ، كما ورد ذلك في الفص الموسـوي ، فإنه خلط الآية] 85[من سـورة غـافر ، وهي قوله تعـالى :] فلم يك ينفعهم إيمـانهم لما رأوا بأسـنا سـنت الله الـتي قد خلت في عبـاده وخسر هنالك الكـافرون [، بالآية]98[من سـورة يـونس ، وهي قوله تعـالى :] فلو لا كـانت قرية أمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما أمنوا كشـفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الـدنيا ومتعنـاهم إلى حين [، في قوله تعـالى:] فلم يك ينفعهم إيمـانهم لما رأوا بأسـنا سـنة الله الـتي قد خلت في عبـاده[، فخلط معها قوله تعالى :]إلا قوم يونس [0

وكقوله في الفص الموسـوي أيضـاً [3]:] رب المشـرق والمغـرب [، فجـاء بما يظهر ويسـتر] وهو الظـاهر والبـاطن [، وما بينهما وهو قوله :] وهو بكل شيء عليم [، وفي هـذا خلـط بين آيـتين الأولى :] قـال رب المشـرق والمغـرب وما بينهما إن كنتم تعقلـون [، [الشعراء : 28] 0

والثانيـة:] هـو الأول والآخـر و الظاهـر والبـاطن وهو بكل شيء عليم [، [الحديد : 3]0

---

[1] - انظر مثلاً : الفتوحات المكية ، 3/ 9 0
وكـذلك بعض الكتب الـتي أشـارت إلى ذلك مثل : التفسـير والمفسـرون ، د: محمد حسـين الذهبي ، 2/ 369 ، و البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد الزركشي ـ تحقيق د: يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، وآخرون ،ط2، (بـيروت : دار المعرفة ، 1415 هـ) ، 2/ 311 0

[2] -انظر: حلية الأولياء ، 10 / 373 ، والاعتصام 1/ 230 ، والموافقات ، 4/ 196- 197، وص 153من الرسالة 0

[3] - انظر : فصوص الحكم ، تعليق أبو العلا عفيفي ص 309، وشـرح عبد الـرزاق القاشـاني على فصـوص الحكم ، لابن عـربي ، ط2 (مصـر: شـركة ومكتبة ومطبعة مصـطفى البـابي الحلبي وأولادة ، 1386هـ) ، ص317

وعلق بعض شرّاح الفصوص على هذا الأسلوب في خلط الآيــات ومزجها بقوله : « مــزج آيــتين مختلفــتين ، وفسر إحــداهما بــالأخرى ، تفسـيراً لا يــبرره إلا حرصه ، على استخراج فكرة وحدة الوجود من القرآن ، مهما يكن الثمن»[1] 0

المطلب الثــاني: موقف علمــاء الســلف ، في القــرن الثــامن ، من منهج الاســتدلال بــالقرآن الكريم ، عند الصوفية 0

استنكر علماء السلف في القرن الثامن ، ما أقدم عليه الصـوفية ، من تأويل فاسد للقـرآن الكـريم ، وبينـوا فساد منهج استدلالهم بهذا التحريف والتلاعب بكتاب الله المخالف لمنهج السلف ، في فهم القرآن وتفسيره 0

[1] - فصوص الحكم ، بقلم أبو العلا عفيفي ، ص 309

فقد قال الزركشي[1] عن ذلك التفسير : « فأما كلام الصوفية ، في تفسير القرآن ، فقيل ليس تفسيراً ، وإنما هي معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة ، كقول بعضهم في - قوله تعالى - :] يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار [، [التوبة : 123] 0 : إن المراد النفس ، فأمرنا بقتال من يلينا ؛ لأنها أقرب شيء إلينا ، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه 0

قال ابن الصلاح[2] في فتاويه[3] : وقد وجدت عن الإمام أبي الحسين الواحدي[4] ، أنه : صنف أبو عبد الرحمن السلمي "حقائق التفسير " ، فإن كان اعتقد أن ذلك تفسير ، فقد كفر»[5]0

وقال ابن أبي العز ، عن التأويل الفاسد ، للقرآن الكريم : «000هو الذي أفسد الدنيا والدين ، وهكذا

---

[1] -الإمام العلامة الفذ بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر ، أبو عبد الله المنهاجي الزركشي ، التركي الأصل المصري الشافعي ، ولد في القاهرة عام 745 هـ ، مؤلفاته :« بلغت مؤلفات الزركشي (45) تصنيفاً ، وصلنا منها - ما يقارب- (29) كتاباً ، واهتم الباحثون بتحقيق كتبه ونشرها ، فنشروا (11) كتاباً منها ، ولايزال (18) كتاباً مخطوطاً ، وفقد منها (16) ، وكان أكثر اهتمامه بالفقه وأصوله0 ومن تصانيفه : البحر في أصول الفقه ، شرح التنبيه للشيرازي في فروع الفقه الشافعي ، شرح جمع الجوامع للسبكي ، شرح الحديث لابن الصلاح ، ولقطة العجلان وبلة الظمأن ، والبرهان في علوم القرآن 0
ثناء العلماء عليه : الإمام الزركشي ، -ممن وافق علماء السلف في الرد على الصوفية في هذه المسألة - أحد علماء الإسلام الأثبات ، وجهبذ من جهابذة أهل النظر والاجتهاد ، وعلم من أعلام القرآن والحديث وأصول الدين ، والفقه 0 فقد وصفه المقريزي في كتابه " السلوك" فقال : « الفقيه الشافعي ، ذو الفنون ، والتصانيف المفيدة » وذكر ابن قاضي شهبه أنه : « كان فقيهاً ، أصولياً ، أديباً ، فاضلاً في جميع ذلك »0 ووصفه ابن إياس الحنفي بأنه : « كان عالماً فاضلاً »0
توفي الإمام الزركشي - رحمه الله - بالقاهرة ، سنة 794 هـ 0
(البرهان في علوم القرآن ، 1/11 ، 14 ،17 ،30 ، الدرر الكامنة ، 3/ 397 ، وحسن المحاضرة ، 1/366، وشذرات الذهب ، 6/335 ، والسلوك في معرفة دول الملوك ، 3/779 ، وطبقات الشافعية ، لأبي بكر أحمد محمد ابن قاضي شهبة ، اعتنى بتصحيحه وعلق عليه ، د: الحافظ عبد العليم خان ، رتب فهارسه ، د: عبد الله أنيس الطباع ، ط1، (بيروت : عالم الكتب ، 1407هـ) ، 3/167-168 ، والأعلام ، 6/60 ، ومعجم المؤلفين ، 9/121) 0

[2] - تقي الدين بن الصلاح الحافظ شيخ الإسلام أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن موسى الكردي الشهرزوري الموصلي الشافعي ، ولد سنة 577هـ ، ، تفقه وبرع في المذهب وأصوله وفي الحديث وعلومه ، وصنف التصانيف ،مع الثقة والديانة والجلالة ، توفي رحمه الله يوم الأربعاء الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة 643هـ 0 (شذرات الذهب ، 5/ 221-222)

[3] - انظر : فتاوى ومسائل ابن الصلاح ، تحقيق د: عبد المعطي أمين القلعجي ، (بيروت : دار المعرفة ، 1406هـ) ، 1/196-197

[4] - أبو الحسن الواحدي المفسر علي بن أحمد النيسابوري ، برع في العلم ، وكان على مذهب الشافعي ، وكان رأساً في اللغة العربية ، وأما في التفسير فهو إمام عصره ، توفي في جمادى الآخرة سنة 468هـ 0(شذرات الذهب ، 3/ 330)

[5] - البرهان في علوم القرآن ، 2/ 311

فعلت اليهود والنصارى ، في نصوص التوراة والإنجيل ، وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله، من جناية»[1] 0

وذكر الزركشي أنه : « 000لايجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد ، من غير أصل » [2] 0

وقال كذلك : « فأما التأويل المخالف، للآية والشرع ، فمحظور ؛ لأنه تأويل الجاهلين »[3] 0

وقال الذهبي عن تفسير الصوفية : « وفي الجملة ففي تصانيفه - أي السلمي - أحاديث وحكايات موضوعة ، وفي " حقائق تفسيره " أشياء لا تسوغ أصلاً ، عدها بعض الأئمة من زندقة الباطنية ، وعدها بعضهم عرفاناً وحقيقة ، نعوذ بالله من الضلال ، ومن كلام بهوى ، فإن الخير في متابعة السنة ، والتمسك بهدي الصحابة والتابعين - - »[4]

و صدق والله الإمام الذهبي ، فهذا هو منهج السلف ، في التفسير والاستدلال ، منهج يقوم على الاتباع ، لكتاب الله وسنة رسوله -- ، والتمسك بهدي الصاحبة والتابعين -- ، فهو منهج الاتباع ، لا الابتداع0

وأما ما يتأوله - في الحقيقة تحريف لكلام الله تعالى ذكره،وليس تأويلاً مقبولاً - بعض الصوفية ، من الآيات القرآنية ، ليسيغوا لأنفسهم التحلل من العبادات ، وشراع الإسلام ، فقد تصدى علماء السلف بالقرن الثامن لهذا لمنهج، بقوة وحزم، وبينوا أن الصوفية ليسوا على صواب ألبته فيما ذهبوا إليه ، من الاستدلال على سقوط العبادات والتكاليف الشرعية 0

فقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيميه ، أن سبب ذلك يعود لتأويلهم الفاسد للقرآن الكريم ، فقال : « وهؤلاء يجعلون الأمر والنهي للمحجوبين ، الذين لم يشهدوا هذه الحقيقة الكونية[5] ، ولهذا يجعلون من وصل إلى هذه

---

[1] - شرح الطحاوية ،ص 208

[2] - البرهان في علوم القرآن ، 2/ 303

[3] - البرهان في علوم القرآن ، 2/ 288

[4] - السير ، 17 / 252

[5] - الحقيقة الكونية : هي ربوبيته تعالى لكل شيء ، ويجعلون ذلك مانعاً من اتباع أمره الديني الشرعي ، (العبودية ، لشيخ الإسلام ابن تيميه ، تحقيق علي حسن عبد الحميد ، ط 3 (دار الأصالة ، 1419هـ) ص 42)

الحقيقة ، يسـقط عنه الأمر والنهي ، ويقولـون : إنه صـار من الخاصة !، وربما تأولوا على ذلك قوله تعالى :
] واعبـد ربك حتى يأتيك اليقين [، [الحجر : 99] ؛ فاليقين عندهم هو معرفة هذه الحقيقة »[1] 0

وقد كفّرَ شيخ الإسلام ابن تيمية ، من قال بهـذا القــول ، وزعم إمكانية سقـــوط العبــادات ، والتكــاليف الشـرعية ، عن بعض العبـاد بقوله : « وقـول هـؤلاء كفر صريح ، وإن وقع فيه طوائف لم يعلموا أنه كفر ، فإنه قد عُلم بالاضطرار من دين الإسلام ، أن الأمر والنهي لازمان لكل عبد ، ما دام عقله حاضـــــراً ، إلى أن يمــــوت ، لا يسقطان عنه ، لا بشـهوده القـدر ، ولا بغـير ذلك ، فمن لم يعــرف ذلك عُرِفَـه وبُيّنَ له ، فــإن أصر على اعتقــاد سقوط الأمر والنهي ، فإنه يقتل »[2]0

ونهج الإمام ابن كثير ، المنهج ذاته ، في الرد على القائلين بسقوط العبادات ، والتكاليف الشرعية ، فقــال: « ويُستدل بهذه الآية الكريمة ، وهي قوله تعـالى:] واعبد ربك حتى يأتيك اليقين [[الحجر 99]0
على أن العبادة ؛ كالصلاة ونحوها ، واجبة على الإنســان ، مــادام عقله ثابتــاً ، فيصــلي بحسب حاله ، كما ثبت في صحيح البخاري[3] ، عن عمـران بن حصـين -- أن رسـول الله -- قـال : « صل قائمـاً ، فـإن لم تسـتطع فقاعـداً ، فإن لم تستطع فعلى جنب »0

ويستدل بها على تخطئة ، من ذهب من الملاحدة ، إلى أن المــراد بــاليقين ؛ المعرفة ، فمـتى وصل أحـدهم إلى المعرفة ، ســقط عنه التكليف عنــدهم ، وهــذا كفر وضـلال وجهل ، فـإن الأنبيـاء - عليهم السـلام - كـانوا هم وأصحابهم ، أعلم الناس بالله ، وأعرفهم بحقوقه وصـفاته ، وما يسـتحق من التعظيم ، وكـانوا مع هــذا أعبد وأكــثر النــاس عبــادة ، ومواظبة على فعل الخـيرات ، إلى حين الوفاة ، وإنما المراد باليقين ههنا : المـــوت »[4] 0

---

[1] - العبودية ،ص 44
[2] - العبودية ،ص44-45 0 قلت : هــذه قاعــدة هامة ، من قواعد الســلف ومن صــميم منهجهم ، إقامة الحجة والدليل على المخالف ، قبل الحكم بكفره 0
[3] - صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، بـاب إذا لم يطق قاعـداً صـلى على جنب ،1/ 348 ، حديث رقم (1117)
[4] - تفسير القرآن العظيم ، 2/ 581

وقال الشاطبي ، عن استدلال بعض الصوفية ، بقوله تعـالى:]000إذ قـاموا فقـالوا ربنا000 [، [الكهف : 14 الآية] 0

على جـــواز الـــرقص 0 قـــال : « أين فيه أنهم قـــاموا يرقصون ، أو يزفنون[1] ، أو يدورون على أقدامهم ، ونحو ذلك »[2] 0

وقال كذلك : « كان أبو بكر الشبلي الصوفي[3] ، إذا لبس شيئاً ، خـرق فيه موضـعاً ، فقـال له ابن مجاهد[4] : أين في العلم إفساد ما ينتفع به ؟

فقـال :] 000فطفق مسـحاً بالسـوق والأعنـاق [، [ص : 33] 0

قال الشاطبي تعليقاً ، على هذا الاستدلال : « وفي بعض هـــذه الاســـتدلالات ؛ نظـــر »[5] ، بل فيها شـــطط وانحـراف بيّن عن الصـراط المسـتقيم ، وما شـرعة رب العالمين ، وأخبر به الهادي الأمين -- 0

وقد ذكر علماء السلف ، أن أحسن طرق التفسير وأصحها ، هو : أن يفسر القرآن بالقرآن ، فـإن أعيا ذلك ، فبالسنة ؛ لأنها شارحة للقرآن وموضحة له[6]0

لأنه لا تعلم أصول الدين ، من غير كتاب الله وسنة رسوله -- ، فكيف يُفسر كتاب الله ، بغير ما فسر به رسوله -- ، وأصحاب رسول الله ، الذين نزل القرآن بلغتهم[7]، وفهمـــوا مقاصـــده ، وعلمـــوا أســـباب نزوله ، فأقاموا حدوده ، وحروفه ، على هدى وبصيرة 0

قال الإمام ابن كثير مبيناً منهج السلف في تفسير القـــرآن الكـــريم : « فـــإن قـــال قائل فما أحسن طـــرق التفسير ؟

فالجواب : أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أجمل في مكان ، فإنه قد بسط في

---

[1] - يزفنـــون : يرقصـــون 0(أســـاس البلاغة ، تـأليف العلامة جـار الله أبي القاسم محمـــود الزمخشري ، بيروت : دار عالم الكتب ، 1415هـ ، ص 272)

[2] - الاعتصام ، 1/ 230

[3] - الخبر في حلية الأولياء 10/ 373-374 ، ونصه : «000قال له أبو بكر بن مجاهد : يا أبا بكر ، أخـــبرت أنك تحـــرق الثيـــاب والخـــبز والأطعمة ، وما ينتفع به النـــاس من منـــافعهم ومصالحهم ، أين هـذا من العلم والشـرع ؟ فقـال له : قـول الله :] فطفق مسـحاً بالسـوق والأعناق [0

[4] - الإمـــام المقـــرئ ، المحـــدث ، النحـــوي ، شـــيخ المقـــرئين ، أبو بكر ، أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي ، ولد سنة خمس وأربعين ومئتين ، وتوفي في شعبان سـنة أربع وعشرين وثلاث مئة 0 (السير 15/ 272-273)

[5] - الموافقات ، 4/ 196 - 197

[6] - انظر : البرهان في علوم القرآن ، 2/ 315

[7] - شرح الطحاوية ، ص 218

موضع آخر ، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة ، فإنها شارحة للقــرآن وموضــحة له ، بل قد قــال الإمــام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشـافعي - رحمه الله - : " كل ما حكم به رسول الله -ﷺ- ، فهو مما فهمه من القرآن". وحينئـذٍ إذا لم تجد التفسـير في القــرآن ، ولا في الســنة ، رجعنا في ذلك إلى أقــوال الصــحابة - رضي الله عنهم - فــإنهم أدرى بــذلك لما شــاهدوه من القــرائن والأحــوال الــتي اختصــوا بها 000إذا لم تجد التفسـير في القــرآن ولا في السـنة ، ولا وجد عن الصـحابة ، فقد رجع كثـير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين»[1]0

وقال شيخ الإسلام : « وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم - السلف - اعتصـامهم بالكتـاب والسـنة ، فكـان من الأصول المتفق عليها بين الصــحابة - رضي الله عنهم - والتــابعين لهم بإحســان ، أنه لا يقبل من أحد قط ، أن يعـــارض القـــرآن لا برأيه ، ولا ذوقه ، ولا معقوله ، ولا قياسه ، ولا وجده»[2] 0

« فلهذا كله ، يجب على كل نـاظر، في الـدليل الشـرعي ، مراعـاة ما فهم منه الأولـون ، وما كـانوا عليه في العمل ، فهو أحرى بالصـواب ، وأقـوم في العمل »[3] 0

ونقل الذهبي ، قول سهل التستري[4] : « إنما سـمي الزنـديق زنـديقاً ؛ لأنه وزن دق الكلام ، بمخبـول عقله ، وقياس هوى طبعه ، وترك الأثر و الاقتـداء بالسـنة ، فتأول القرآن بالهوى»[5]0

وقال الزركشي ، عن منهج استدلال ، من يخلط سور وآيات القرآن ، بعضــها ببعض : « عد الحليمي[6] من

---

[1] - تفسير القرآن العظيم ، 1/ 5

[2] - الفتاوى ، 13/ 28 ، وانظر ص 29

[3] - الموافقات ، 3/ 289

[4] - سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله ، وكنيته أبو محمد ، أحد أئمة القــوم ، وعلمائهم والمتكلمين في علوم الرياضات ، والأخلاق ، وعيـوب الأفعـال ، أسـند الحـديث ، توفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين 0 (طبقات الصوفية ، ص 206)

[5] - السير ، 13/ 332

[6] -أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي ، مولده سنة ثمــان وثلاثين وثلاث مائة ، فقيل بجرجـان ، العلامة البـارع رئيس أهل الحـديث بما وراء النهر ، له تصـانيف مفيـدة ، تـوفي في ربيع الأول سـنة ثلاث وأربع مائة 0 (تـذكرة الحفـاظ ، تـأليف الإمام الذهبي ، وضع حواشيه الشيخ زكريا عميرات ، ط1 ، (بـيروت:دار الكتب العلمية ، 1419هـ3/ 156)

الآداب ، ترك خلط سورة بسورة ،وذكر الحديث الآتي ، قال البيهقي: وأحسن ما يحتج به أن يقال : إن هذا التأليف لكتاب الله ، مأخوذ من جهة النبي -- وأخذه عن جبريل ، فالأولى بالقارئ أن يقرأه ، على التأليف المنقول ، المجمع عليه0

وقد قال ابن سيرين: تأليف الله خير من تأليفكم »[1]

ونقل الزركشي : عدم جواز قراءة آية آية ، من كل سورة، وذكر أن هذا محل إجماع [2]0

فكيف بمن يمزج الآيات القرآنية ، بعضها ببعض ، ليؤلف شيئاً جديداً ، ليستدل به على ما يوافق هواه وضلاله 0

وقد بيّن الشاطبي بعض الأمثلة[3] ، عن مناهج استدلال أهل الأهواء والبدع - ومنهم ضلال الصوفية - ، ثم قال : «والأمثلة في الباب كثيرة ، لو تتبعت لخرجنا عن المقصود ، وإنما ذكر أمثله تبين من استدلالاتهم الواهية ما يضاهيها ، وحاصلها الخروج في الاستدلال عن الطريق الذي أوضحه العلماء ، وبينه الأئمة ، وحصر أنواعها الراسخون في العلم 0

ومن نظر إلى طريق أهل البدع في الاستدلال ، عرف أنها لا تنضبط ؛ لأنها سيالة لا تقف عند حد ، وعلى كل وجه يصح ، لكل زائغ

وكافر أن يستدل على زيغه وكفره ، حتى ينسب النحلة التي التزمها إلى الشريعة »[4] 0

---

[1] - في : المنهاج في شعب الإيمان لأبي عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي ، (بيروت : دار الفكر ، 1399هـ) ، 2/ 238 ، والبرهان في علوم القرآن 2/ 99-100

[2] - انظر: البرهان في علوم القرآن ، 2/100، ونكت الانتصار لنقل القرآن ، للإمام أبي بكر الباقلاني ، تحقيق د: محمد زغلول سلام ، (الإسكندرية : الناشر منشأة المعارف ، 1971م)، ص 85 ، والإتقان في علوم القرآن ، تأليف جلال الدين السيوطي ، ط4، (مصر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، 1398هـ) ، 1/144 ، ومناهل العرفان في علوم القرآن ، 1/340

[3] - منها : اعتمادهم على الأحاديث الضعيفة ، و رد الأحاديث الصحيحة ، و تخرصهم على الكلام في القرآن والسنة 0(انظر الاعتصام 1/ 182، 186، 191)

[4] -الاعتصام 1/ 232-233

وقال أبو حيان[1] عن تفاسير الصوفية وطريقة استدلالهم بالقرآن الكريم : « قـال القشـيري[2] في قوله تعالى :] ومن أظلم000 [[البقرة : 114، الآية] 0

الإشارة إلى ظلم من خرب أوطان المعرفة ، بالمنى والعلاقات ، وهي قلوب العارفين ، وأوطان العبادة بالشـــهوات ، وهي نفـــوس العبـــاد ، وأوطـــان المحبة بالحظوظ والمساكنات ، وهي أرواح الواجـدين ، وأوطـان المشـــاهدات بالالتفـــات إلى القربـــات ، وهي أســـرار الموحدين ،] لهم في الدنيا خزي [، ذل الحجـاب ،] وفي الآخرة عـذاب [، لا قتنـاعهم بالـدراجات ، انتهى ، وبعضه ملخص0

وهذا تفسير عجيب ، ينبو عنه لفظ القرآن ، وكذا أكثر ما يقوله هؤلاء القوم »[3] ، ينـدرج تحت هـذا النـوع ، من التحريف لكتاب الله تعالى ذكره 0

المبحث الثـاني : موقف علمـاء السـلف ، في القرن الثامن ، من منهج الاستدلال بالسنة ، عند الصوفية 0

المطلب الأول : منهج الاســتدلال بالســنة ، عند الصوفية:

السنة هي المصدر الثاني ، من مصادر التشريع ، بعد القـرآن الكـريم ، ومكانتها في الإسـلام ، مكانة عالية

---

1 - محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي ، أثير الـدين أبو حيـان ، ولد في أواخر شوال سنة 654هـ ، وكان صدوقاً ، حجة ثبتاً - قيـل: إنه كـان ظـاهري المـذهب ، ثم رجع عنه وتبع الشـافعي على مذهبه - وهو ممن وافق السـلف في الـرد على الصـوفية في هـذه المسـألة _ له العديد من المصـنفات منها : البحر المحيط ، وغـرائب القـرآن ، وشـرح التسهيل ، وغيرها ، تـوفي في 28 صـفر سـنة 745هـ 0 (الـدرر الكامنة ، 4/300-310 ، والتفسير والمفسرون ، 1 /318) 0

2 - ما نصه : « الإشارة فيه أن الظالم من خرب أوطان العبادة بالشهوات ، وأوطان العبادة نفـوس العابـدين ، وخـرب أوطـان المعرفة بـالمنى والعلاقـات ، وأوطـان المعرفة قلـوب العارفين ، وخـرب أوطـان المحبة بـالحظوظ والمسـاكنات ، وهي أرواح الواجـدين ، وخـرب أوطان المشاهدات بالالتفات إلى القربات ، وهي أسرار الموحدين ، وقوله جل ذكـره] لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم [، لأهل الإشارات خزي الدنيا بـذل الحجـاب ، وعذاب الآخرة ، الامتناع بالدرجات » 0 [لطائف الإشارات للإمام القشيري ، قدم له وحققه وعلق عليه د : إبـراهيم بسـيوني ، ط2، (مصـر: مركز تحقيق الـتراث ، الهيئة المصـرية العامـة للكتاب ، 1981م) ، 1/115-116

3 - البحر المحيط ، 1/ 360

ورفيعة ، فهي المبينة[1] للقرآن الكريم ، والشارحة له[2] ، وهناك أحاديث صحيحة ، وضعيفة ، فالأحاديث الضعيفة لا يستدل بها ، لأنها أحاديث لا تقوم بها حجة ، ولكن الصوفية ، نهجوا في هذه الأحاديث الضعيفة نهجاً خاصاً ، فجعلوها أساساً وركناً ثابتاً ، في منهج استدلالهم ، وأما بعض الأحاديث الصحيحة فقد فهموها على خلاف الشرع ، ولذلك أخطئوا الاستدلال بها 0

ومن أشهر الأحاديث الضعيفة ، التي استدلوا بها وفق منهجهم ، أحاديث حياة الخضر-0 [3]-

ومن أشهر الأحاديث التي استدلوا بها على حياة الخضر -،- الحديث التالي نصه :

« يلتقي الخضر وإلياس ، في كل موسم ، يفترقان عن هذه الكلمات : بسم الله ، ما شاء الله ، لا لاقوة إلا بالله ، ما شاء الله ، كل نعمة من الله ، ما شاء الله ، الخير كله ، بيد الله عز وجل ،ما شاء الله ، لا يصرف السوء إلا الله ، ما شاء الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله »[4]0

---

[1] - من بيان السنة للقرآن : بيان ما أجمل من عبادات وأحكام ، فقد فرض الله تعالى الصلاة على المؤمنين ، من غير أن يبين أوقاتها ، وأركانها وعدد ركعاتها ، فبين الرسول -- هذا بصلاته وتعليمه للمسلمين ، كيفية الصلاة 000 وفرض الحج من غير أن يبين مناسكه ، وقد بين الرسول -- كيفيته ، وفرض الله - تعالى الزكاة ، من غير أن يبين ما تجب فيه من أموال وعروض وزروع ، كما لم يبين النصاب الذي تجب فيه الزكاة من كل ، فبينت السنة ذلك كله 0 (السنة قبل التدوين ، د : محمد عجاج الخطيب ، ط2، القاهرة : مكتبة وهبة ، 1408 هـ ، ص 25)

[2] - انظر: الرسالة للإمام الشافعي ، بتحقيق وشرح أحمد شاكر ، (دار الفكر) ، ص 91-92

[3] - انظر : البداية والنهاية ، 1/ـ 376 ، والمصادر العامة للتلقي عند الصوفية ، ص 359 وتقديس الأشخاص في الفكر الصوفي عرض وتحليل على ضوء الكتاب والسنة ، تأليف محمد أحمد نوح ، ط1 (المملكة العربية السعودية : دار الهجرة للنشر والتوزيع ، 1416 هـ) ، 1/ 396 وما بعدها 0

[4] - قوت القلوب في معاملة المحبوب ، لأبي طال المكي ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع) ، 1/9 ، وذكره ابن حجر في : الزهر النضر في نبأ الخضر ، شرحه وعلق عليه سمير حسين حلبي ، ط1 ، (بيروت دار الكتب العلمية ، 148هـ) ، ص16-ـ 62 ، وابن الجوزي في الموضوعات من الأحاديث المرفوعات حقق نصوصه وعلق عليه ، د: نور الدين بن شكري ، ط1 ، (الرياض : مكتبة أضواء السلف ، 1418هـ) ، 1/ 311، باختلاف يسير ، وطرفه عند ابن القيم في المنار المنيف في الصحيح والضعيف ، ص 58 ، وهو حديث ضعيف وواه 0

واستدلوا بأحاديث أخرى منها : « إن الخضر في البحر واليسع في البر ، يجتمعان كل ليلة ، عند الردم ، الذي بناه ذو القرنين بين الناس ، ويأجوج ومأجوج ، ويحجان ويعتمران كل عام ، ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى قابل » وهو حديث ضعيف جداً 0

الزهر النضر ، ص 36-37، والمطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، للحافظ ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني ، تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، (مكة المكرمة : توزيع عباس أحمد الباز ، بدون تاريخ طبع) ، 3/ 278

هذا مثال من الأحاديث ، التي يستدل بها الصوفية ، على حياة الخضر -ﷺ- ، وأنه لا يزال حياً ، ويحج كل عام ، وبالتـالي فـإن لقيـاهم له ، ورؤيتهم إيـاه ، وتلقيهم منه ، حجة في الاستدلال -كما يزعمون-0

ومن الأحاديث التي فهمها - بعض - الصوفية خلاف الشرع ، ومـراد رسول الله -ﷺ- ، الأحاديث التي تنهى عن ادخار المال والطعام ، ولو ليوم واحد 0

فقد قال الطوسي : « وروي عنه - عليه الصلاة والسلام- : أنه -ﷺ- لم يدخر شيئاً لغد 000»[1] 0

وقـال الغـزالي : « إن رسول الله -ﷺ- كان أسخى النـاس ، كـان لا يـبيت عنـده دينـار ولا درهم ، وإن فضل شـيء ولم يجد من يعطيـه، وفجـأه الليل ، لم يـأو إلى فراشه حتى يتبرأ منه، إلى من يحتاج إليه »[2]

ولذا جسد بعض الصوفية ، هذه الأقوال إلى واقع ملموس ، ومن ذلك ما « يرد عن الشبلي أنه ألقى بأربعة آلاف دينار جملة في دجلة ، فقـالوا له : ما تفعل ؟ قـال : الحجر أولى بالماء0 قـالوا : لم لا تعطيها للخلق ؟ قـال : سـبحان الله ! بم احتج إلى الله في أني رفعت الحجـاب عن قلبي وجعلته على قلوب إخوتي المسلمين » [3] 0

وذكر الطوسي أنه قد : «حُمل إلى الحسـين النـوري ثلثمائة دينـار، قد بـاعوا عقـاراً له ، فجلس على قنطـرة الصَّـراة ، وهو يحـذف بواحد واحد منها إلى المـاء ويقول : سيدي تريد أن تخدعني عنك بهذا»[4]0

هكذا فهم بعض الصوفية ، أحاديث الرسول -ﷺ- التي تنهى عن ادخار المال 0

---

[1] - اللمع ، ص 134

[2] - الإحياء ، 2/ 389 ، وقد علق الحافظ العراقي على ذلك بحاشية الإحياء فقال : « حديث كـان -ﷺ- أسـخى النـاس 0 أخرجة الطـبراني في الأوسط من حـديث أنس : « فضـلت على الناس بأربع : بالسخاء والشجاعة 000الحديث 0 ورجالة ثقات 0 وقال صـاحب المـيزان إنه منكر ، وفي الصحيحين من حديثه : كان رسول الله -ﷺ- أجود النـاس واتفقا عليه من حـديث ابن عباس»0وحديث «كان لا يبيت عنده دينـار ولا درهم قط » أخرجه أبو داود في سـننه ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب في الإمام يقبل هدايا المشركين ، 2/ 171 حديث رقم 3055

[3] - كشف المحجوب ص 462

[4] - اللمع ، ص 357

المطلب الثــاني : موقف علمــاء الســلف ، في القرن الثامن ، من منهج الاستدلال بالسنة ، عند الصوفية 0

شدد علماء السلف ، في القرن الثامن - كما هو حــال الســلف في كل زمــان - ، على التمسك بالســنة ، واتبــاع الرســول الكــريم -ﷺ- وحثــوا على التمسك بهــذا المنهج في الاستدلال ، والاقتداء 0

قال ابن أبي العز ،عن أسباب دخول الفساد في العالم: «000وأحبار السوء - وهم العلمـاء الخـارجون عن الشريعة - بآرائهم وأقيستهم الفاسدة ، المتضــمنة تحليل ما حرم الله ورسوله -ﷺ- ، وتحريم ما أباحه ، واعتبـار ما ألغــاه ، وإلغــاء ما اعتــبره ، 000 والرهبــان وهم جهــال المتصـوفة ، المعترضـون على حقـائق الإيمـان والشـرع ، بـالأذواق ، والمواجيد ، والخيـالات، والكشـوفات الباطلة ، المتضمنة شرع دين لم يأذن به الله ، وإبطال دينه ، الذي شــرعة على لســان نبيه -ﷺ- ، والتعــويض عن حقــائق الإيمان ، بخدع الشيطان ، وحظوظ النفس »[1]0

وقال كذلك : « 000أما الأمور الإلهية ، والمعارف الدينيـة، فهـذه العلم فيها ، ماأخذ عن الرسـول -ﷺ- لا غـير »[2]0

وبيّن منهج الاســتدلال بالسـنة ، عنـد الصـوفية الشــاطبي بقوله : « فمنها : اعتمــادهم على الأحــاديث الواهية الضـعيفة ، المكـذوب فيها على رسـول الله -ﷺ- ، والــتي لا يقبلها أهل صــناعة الحــديث ، 000فــإن ناقل أمثــال هــذه الأحــاديث - على ما هو معلــوم - ، جاهل ومخطئ في نقل العلم ، فلم ينقل الأخذ بشــــيء منها ، عمن يقتــدى به في طريقة العلم ، ولا طريقة الســلوك »[3] 0

وقد أشار الذهبي ، إلى مثل هذا القول ، وبيّن خطأ من نهج هذا المنهج ، في الاسـتدلال بمثل هـذه الأحـاديث[4] 0

---

[1] - شرح الطحاوية ـ ص 235
[2] - شرح الطحاوية ـ ص 230
[3] - الاعتصام ـ 1/ 182
[4] - انظر : السير ـ 17/ 182

أما أحاديث حياة الخضر -- ، التي يستند إليها الصوفية في إثبات حياته ، فلم يصح منها شيء ألبته ، كما بيّن ذلك ابن كثير بقوله :

« وهذه الروايات والحكايات ، هي عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم ، وكل من الأحاديث المرفوعة ، ضعيفة جداً لا يقوم بمثلها حجة في الدين»[1] 0

وقال كذلك : « وقد قدمنا قول من ذكر أن إلياس والخضر يجتمعان ، في كل عام في شهر رمضان ، ببيت المقدس ، وأنهما يحجان كل سنة ، ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى مثلها من العام المقبل 000وبيّنا أنه لم يصح شيء من ذلك، وأن الذي يقوم عليه الدليل أن الخضر مات وكذلك إلياس - عليهما السلام - » 0[2]

وقال الإمام ابن القيم : « الأحاديث التي ذكر فيها الخضر -- وحياته ، كلها كذب ، ولا يصح في حياته حديث واحد»0[3]

وقد ذكر ابن القيم ، عشرة أوجه استدل بها على موت الخضر -- ، منها :

1- أن القول بحياة الخضر -- قول على الله بلا علم ، وذلك بنص القرآن 0

2- أن غاية ما تمسك به من ذهب إلى حياته ، حكايات منقولة ، يخبر الرجل بها أنه رأى الخضر -- فيالله العجب ! هل للخضر -- علامة يعرف بها من رآه ؟ وكثير من هؤلاء يغتر بقوله : أنا الخضر 0 ومعلوم أنه لا يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من الله ، فأين للرأي أن المخبر له صادق ، لا يكذب 0

3- أنه لو كان حياً لكان جهاده الكفار ، ورباطه في سبيل الله ، ومقامه في الصف ساعة ، وحضوره الجمعة والجماعة ، وتعليمه العلم : أفضل له بكثير من سياحته بين الوحوش في القفار والفلوات 0 وهل هذا إلا من أعظم الطعن عليه ، والعيب له [4]0

وأما ما ذكره الصوفية ، من الحديث الصحيح ، واستدلوا به على عدم جواز الادخار ، فقد بين الشاطبي ،

---

[1] - الخضر وآثاره بين الحقيقة والخرافة ، تأليف : أحمد بن عبد العزيز الحصين ، ط2 ، (القاهرة : مكتبة رياض الجنة ، 1408هـ) ، ص 49

[2] -البداية والنهاية ، 1/ 376

[3] - المنار المنيف في الصحيح والضعيف ، ص 67 0

[4] - المنار المنيف ، ص63، 64

أنهم أخطأوا في هذا الاستدلال، فقال: « وقد يشارك القرآن في هذا المعنى السنة ، إذ كثير من الأحاديث، وقعت على أسباب ، لا يحصل فهمها إلا بمعرفة ذلك ، ومنه أنه نهى - عليه السلام - عن ادخار لحوم الأضاحي بعد ثلاث ، فلما كان بعد ذلك قيل له : لقد كان الناس ينتفعون بضحاياهم ، ويحملون منها الودك[1] ويتخذون منها الأسقية 0

فقال -ﷺ- :« وما ذاك ؟» 0

قالوا : نهيت عن لحوم الضحايا بعد ثلاث 0

فقال -ﷺ-: « إنما نهيتكم من أجل الدافة[2] ،التي دفت عليكم : فكلوا وتصدقوا وادخروا »[3]0

فهذا فيه بيان خطأ بعض الصوفية ، في استدلالهم بهذا الحديث ، على عدم الادخار ، وإنما الصواب بخلاف ما ذهبوا إليه ، لأن النهي عن الادخار كان لسبب خاص[4] 0

المبحث الثالث : موقف علماء السلف، في القرن الثامن ، من منهج الاستدلال بأفعال وأقوال الشيوخ ، عند الصوفية0

[1] -الودك : دسم اللحم ودهنه الذي يستخرج منه 0(المعجم الوسيط 2/ 1022، مادة «ودك »)0

[2] -الدافة : الجماعة تقبل من بلد إلى بلد 0 وقال في الموافقات : « قوم يسيرون جماعة سيراً ليس بالشديد ، يريد أنهم قدموا المدينة عيد الأضحى ، فنهاهم عن ادخار لحوم الأضاحي ليفرقوها ويتصدقوا بها ، وينتفع أولئك القادمون ، فالنهي بسبب خاص ، إذا لم يوجد جاز الأكل والتصدق والادخار ، كما جاء في الحديث» ، 1/ 156

[3] - صحيح مسلم ، كتاب الأضاحي ، باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث ، في أول الإسلام ، وبيان نسخه وإباحته إلى متى شاء، 3/ 1561 ، حديث رقم 1971 ، ونص الحديث : «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل لحوم الضحايا بعد ثلاث قال عبد الله بن أبي بكر فذكرت ذلك لعمرة فقالت صدق سمعت عائشة تقول دف أهل أبيات من أهل البادية حضرة الأضحى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ادخروا ثلاثا ثم تصدقوا بما بقي»، فلما كان بعد ذلك قالوا : يا رسول الله إن الناس يتخذون الأسقية من ضحاياهم ويجملون منها الودك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «وما ذاك » قالوا : نهيت أن تؤكل لحوم الضحايا بعد ثلاث فقال : «إنما نهيتكم من أجل الدافة التي دفت فكلوا وادخروا وتصدقوا »

[4] - انظر الموافقات ، 4/ 155- 156

المطلب الأول : منهج الاستدلال بأفعال وأقوال الشيوخ ، عند الصوفية0

اعتبر الصوفية منهج الاستدلال ، بأفعال وأقوال الشيوخ ، من مناهج الاستدلال المهمة ، واعتنوا بتدوين أخبار هذا المنهج في الكثير من مؤلفاتهم ، قديماً وحديثاً ، بل ومنهم من يخلع على هذا المنهج القدسية التامة ، بحيث لا يرقى إليه أي منهج أخر ، وكأن شيوخهم معصومون، من الخطأ والزلل والنسيان 0

ولهذا قال بعضهم : « من لم يعتقد في شيخه الكمال ، لا يفلح على يديه أبداً » [1] 0

وقال صوفي آخر : « من دخل في صحبة شيخ ، ثم اعترض عليه ، بعد ذلك فقد نقض عهد الصحبة ، ووجب عليه تجديد العهد » [2]0

بل زعم بعضهم أن مجرد الإنكار على الشيخ لا يجوز ، ومن ينكر عليه ، ستعاجله العقوبة [3]0

وغلى بعض الصوفية بذلك ، حتى جعل أدنى مناقشة للشيخ ، من علامات الخسران وعدم الفلاح ، فقال : « من قال لشيخه لِمَ لا يفلح »[4] 0

وقال القشيري : « يجب على المريد أن يصحح عهده بينه وبين الله تعالى ، أن لا يخالف شيخه ، في كل ما يشير به عليه»[5]

وقالوا في آداب المريد : « الصحبة مع الأستاذ باتباع أمره ونهيه 000والقيام بخدمة أستاذه واجب والصبر تحت حكمه ، وترك مخالفته ، ظاهراً وباطناً ، وقبول قوله والرجوع إليه في جميع ما يعرض له ، والتعظيم لحرمته ، ومجانبة الإنكار عليه سراً وجهراً » [6]0

وقد حث بعض الصوفية ، على تطبيق وتحويل هذه الأقوال ، إلى أفعال ، فقال : « الأكل بالسؤال أجمل من الأكل بالتقوى»[7]0

---

[1] -الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ، 1/ 174 ، والقائل هو: عبد القادر الجيلي 0
[2] - الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ، 1/ 174 ، والقائل هو : أبو علي الدقاق 0
[3] - انظر : طبقات الشعراني ، 2/ 20
[4] - الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ، 1/ 175
[5] - الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ، 1/ 179
[6] - آداب المريدين ، تأليف أبي النجيب ضياء الدين السهروردي ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، (القاهرة : دار الوطن) ، ص 66
[7] - اللمع ، ص 255

ولهذا طبق الصوفية هذا القول ، وقاموا بالتسول ، كما أقر بـذلك الطوسـي، فقــال : « كـان بعض الصـوفية ببغداد لا يأكلون إلا بذل السؤال » [8]0

هذه أمثله من أقوال الصوفية ، في وجـوب اتبـاع الشــيوخ ، والاســتدلال بــأقوالهم وأفعــالهم ، ويظهر فيها الغلو الكبير في تعظيم أقوال وأفعـال شـيوخهم ، ونصـوا على طــاعتهم طاعة مطلقة ، دون تفريق بين طــاعتهم فيما يحبه الله و يرضاه ، وبين ما يغضب الله ورسـوله -- 0

---

[8] - اللمع ،ص 253

المطلب الثـاني : موقف علمـاء السـلف ، في القـرن الثـامن ، من منهج الاسـتدلال بـأقوال وأفعال الشيوخ عند الصوفية 0

دحض علماء السلف ، في القرن الثامن ، المزاعم الـتي يروجها بعض الصـوفية ، بحجية الاسـتدلال بأفعـال وأقـوال الشـيوخ عنـدهم، وبيّن علمـاء السـلف ، أن هـذا المنهج خـــــاطئ ولا يعتمد عليه ، في تقرير الأحكـــــام الشـرعية ، لأن كل إنسـان عرضة للزلل والخطأ ، فيؤخذ من كلامه ما يوافق النصـوص الشـرعية ، ويـرد ما عـدى ذلك ، إلا المعصوم -ﷺ- ، ولذلك أكد علمـاء السـلف على ضلال بعض الصوفية ، ومجانبتهم الصواب 0

قال الشاطبي : « ولقد زل - بسبب الإعراض عن الدليل والاعتماد على الرجال - أقـوام خرجـوا بسـبب ذلك ، عن جادة الصحابة والتابعين -ﷺ- ، واتبعوا أهـواءهم بغير علم ، فضلوا عن سواء السبيل»[1]0

وذم علماء السلف ، منهج الاستدلال على صحة البدع بأعمال الشيوخ ، فقال الشـاطبي : « وهو - التقليد - نظـير من يسـتدل على صـحة البدعة بعمل الشـيوخ ، ومن يشـــار إليه بالصـــلاح ، ولا ينظر إلى كونه من أهل الاجتهاد في الشريعة»[2]0

وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيميه -رحمه الله - ، خطأ من اسـتدل بأفعـال من لا يـؤدون الواجبـات الشـرعية ، بقوله : « ومن ظن أن أحـداً من هـؤلاء الـذين لا يـؤدون الواجبات ، ولا يتركون المحرمـات ، 0000فمن اعتقد أن أحد من هؤلاء من أولياء الله المتقين ، وحزبه المفلحين ، وعباده الصـالحين ، وجنـده الغـالبين السـابقين ، 000 مع كونه لا يـؤدي الواجبـات ، ولا يـترك المحرمـات ، كـان المعتقد لولاية مثل هذا كافراً مرتداً عن دين الإسـلام »[3] 0

ثم قال - رحمه الله - : « فمن جعل طريق أحد من العلمـاء والفقهـاء ، أو طريق أحد من العبّـاد والنسـاك ،

---

[1] - الاعتصام ، 2/ 583

[2] - الاعتصام ، 1/ 133

[3] - الفتاوى ، 10 / 432

أفضل من طريق الصحابة --- فهو مخطئ ، ضال مبتدع »[1] 0

وقال الشاطبي : «000وأضعف هؤلاء احتجاجاً ، قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المقامات ، وأقبلوا وأعرضوا بسببها ، فيقولون :
رأينا فلاناً ؛ الرجل الصالح ، فقال لنا : اتركوا كذا ، وافعلوا كذا»
وأضاف : « ويتفق مثل هذا كثيراً ، للمترسمين برسم التصوف ، وربما قال بعضهم : رأيت النبي --- ، في النوم فقال لي : كذا وأمرني بكذا ، فيعمل بها معرضاً عن الحدود الموضوعة في الشريعة»[2] 0

وبيّن ابن كثير حال بعض أولئك المقلدين ، فقال عن أحد الصوفية: « ويذكر له أحوال ومكاشفات ، على ألسنة العوام ومن لا يعقل ، ولم يكن ممن يحافظ ، على الصلوات ، ولا الصوم مع الناس ، ومع هذا كان كثير من العوام وغيرهم يعتقدونه 000وغالى - بعضهم - فيه مغالاة زائدة »[3] 0

كما أشار الشاطبي ، إلى أن الاستدلال على تثبيت المعاني ، بأعمال المشار إليهم بالصلاح بناء على مجرد تحسين الظن لا زائد عليه، ليس على اطراد في الصواب ، لجواز تغيره [4] 0

كما أوضح أن الاستدلال ، بكلام أرباب الأحوال ، من أهل الولاية، قد يوقع بحرج ، أو يكون من التكليف بما لا يطاق ، « بل ربما ذموا بإطلاق ما ليس بمذموم ، إلا على وجه دون وجه ، وفي حال دون حال ، فصار أخذه بإطلاق موقعاً في مفسدة »[5] 0

وقد ذم علماء السلف ، في القرن الثامن ، تقليد الصوفية ، واعتمادهم على التقليد في الاستدلال على جواز ما يفعلونه من بدع ، فقال الشاطبي : « وأما

[1] - الفتاوى ، 11/ 15
[2] -الاعتصام ، 1/ 211-212
[3] - البداية والنهاية ، 13/ 343
[4] -انظر : الموافقات ، 1/ 116- 117
[5] - الموافقات ، 1/ 117

المقلد فكـذلك أيضـاً لأنه يقـول : فلان المقتـدى به يعمل بهذا العمل ، ويثني عليه ، كاتخاذ الغنـاء جـزءاً من طريقة التصوف،بنـاءً منهم على أن شيوخ التصوف قد سـمعوه ، وتواجدوا عليه ، ومنهم من مـات بسببه ، وكتمزيق الثياب عند التواجد ، بـالرقص وسـواه ، لأنهم قد فعلـوه كثـيراً ، وأكثر ما يقع مثل هذا في هؤلاء المنتمين إلى التصـوف » (1)

هذه مواقف علماء السلف ، في القرن الثـامن الهجري ، من منهج الاستدلال عند الصوفية ، بينـوا ما فيه من حق ، وقومـوا ما فيه من اعـوجاج ، داعيهم في ذلك النصح لله ، ولكتابه ، ولرسوله -ﷺ- ، وأمة الإسـلام ، دون ميل ولا غلوا ، والله الهادي إلى سواء السبيل (2)0

[1] - الاعتصام ، 2/ 354

[2] - هناك أنواع أخرى ، لمنهج الاستدلال عند الصوفية ، منها : تقديم الكشف والـذوق والوجد على الكتاب والسـنة ، وكـذلك اعتمـادهم على الرؤيا والمنامـات والإلهـام والخطـرات ، وقد بينت ذلك في موضعه في الفصل الأول من هذا الباب 0